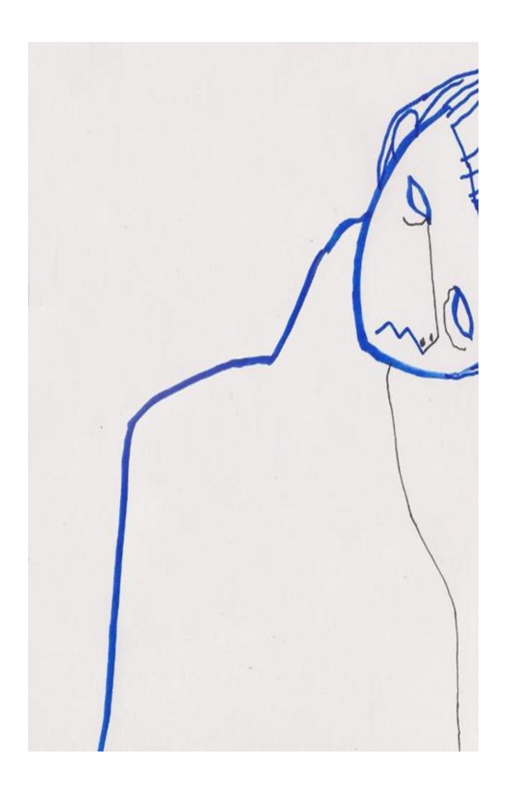
أَصْدُقُكُم القَوْلَ: أَنا فَأرٌ مُتَردِّدٌ



مُتتالِيَةٌ شِعريَّةٌ: أشرف يوسف

رسوم: كارولينا

أَصْدُقُكُم القَوْلَ:

أَنا فَأرٌ مُتَردِّدٌ

أَصْدُقُكُم القَوْلَ: أَنا فَأْرٌ مُتردِّدٌ

الكتاب الثاني من مَشاهِدُ طَويلَةٌ بين أَرْبَعةِ جُدران

أشرف يوسف

متتالية شعرية

الطبعة الأولى: فبراير، ٢٠٢١، القاهرة، طبعة محدودة ورقية بعدد ٢٥ نسخة، ونسخة إلكترونية للجميع بصيغة Pdf تنشر لأول مرة بالتزامن في موقع الكتابة.

رسوم: كارولينا كارويل.

تنسيق: أحمد محمد فرحات.

حقوق النشر محفوظة لموقع الكتابة ٢٠٢١.



يوسف، أشرف. وردة التخييل الذاتي، الكتاب الأول. أصدقكم القول: أنا فأر متردد، الكتاب الثاني: متتالية شعرية/أشرف يوسف – ط١ محدودة ورقية بعدد ٢٥ نسخة، القاهرة ٢٠٢١، ص، ٢٠ في ١٤ سم،

رقم الإيداع: ٢٠٢١/١٥٧٢ تدمك ١- ٠٠ ٨٣ – ٩٠ – ٩٧٧ – ٩٧٨ ISBN، الشعر العربي – تاريخ – العصر الحديث أ _ العنوان ديوي ٨١١.

أَصْدُقُكُم القَوْلَ: أَنا فَأرٌ مُتَرَدِّدٌ

مُتتالِيَةٌ شِعريَّةٌ: أشرف يوسف

رسوم:

كارولينا كوريل

أُنجِزَ كتاب أَصْدُقُكُم القَوْلَ: أَنا فَأرٌ مُتردِّدٌ في أغسطس ٢٠٢٠، ضمن تجربة: مَشاهِدُ طَويلَةٌ بين أَرْبَعةِ جُدران، وفي ظروف عزلة جائحة كورونا.

"سُئل الأديب والمعلم طه حسين.. ما الذي بودّك أن تكونه من الكائنات، فردّ: أن أكون فَأْرًا عائشًا وسط مكتبة زاخرة بصنوف عديدة من المعارف والكتب.. فأظل ألتهمها وأتغذى عليها."، بتصرف من حوار في مجلة الهلال، بحقبة الخمسينيات..



فهرس:

- القِسمُ الأَوَّلُ:

- القِسمُ الثَّاني:

القِسمُ الأَوَّلُ:

فَأرٌ مُترِدِّدٌ



(1)

مُضطرٌّ أن أخرجُ الآنَ من جُحري...
بِنِيَّةِ أن أكونَ صَيدًا سهلًا.

سأنتَحِرُ؛

أعني سأنتَحِر..
لأنَّ الحُبَّ لِمُجرَّد الحُبِّ

مَحْضُ فأرةٍ
تَبحَثُ عن معنى المدينَةِ
بين كَومَةِ كُتُب لأفارقة ومغارِبَةٍ
ولبنانيِّين وسوريين وعِراقيِّين جُدُدٍ...

أَصدُقُكم القولَ.. أنا فأرٌ متردِّد.

سَقَطَت أسناني داخِلي.

مُنذُ قَبَّلَتني ابنةُ أَحلامي البَلْهاءُ، صار عَليّ

أَنْ أكونَ عَبْدًا لِرَغباتي.

والعبوديَّةُ كما يَعْلَمُ الجَميعُ..

تُوَلِّدُ التردُّدَ.

العبوديَّةُ يا إخوتي، أَوقَفَتني كَفاتِحي البُلدانِ

في انتظار مُفردَةٍ، فَجُمْلَةٍ

لِتبدَأَ الوليمةُ الليليَّةُ.

(2)

أُرَدِّدُ على مسامِعِكُم

وآذانِكُم القَذِرَةِ..

ما الذي بإمْكانِ فَأرٍ

اعتادَ الاختِباءَ في المجاري أَنْ يَفعَلَه

وهو في نَفْسِ الغُرفَةِ أمامَ نَفْسِ المرآةِ.

ماذا تَظنُّون عن أحلامي

سَهْلَةِ الثُّبُوت

سَهْلَةِ الارتماءِ بينَ أَحضاني

هل أُحصيها لَكُم..

مَثَلًا

أَنْ تَهتزَّ الأَرضُ أَسْفَلَ قَدَميَّ

ويُرَجَّ العَالَمُ، وتَتوهَ جاذِبيَّتُه.

ما الَّذي بإمكانِ فَأرٍ رقيقٍ مِثلي

أَنْ يُنْجِزَه لمواجَهَةِ هِزَّةٍ أَرضيَّةٍ

ووُرودُه الذَّابِلَةُ

تَفوحُ بالدِّماءِ، ويُغطِّيها الخَرَاءُ الإنسانيّ...

تَخيَّلوا؛ فَلَنْ تُصابوا بِضَرَرٍ لو ظَنَنتُم

أنَّني أَفرِضُ على واقعي ما هو غيرُ مَوجودٍ

وعلى ما هُوَ غَيرُ مَوجودٍ مُجرَّدَ تخييلٍ

عن فَأرٍ يَسكُنُني..

فيختلطا بِبعضِهِما البَعض،

وبمجرَّد النَّظَر في المرآةِ

أرى نفسي عِملاقًا طَيِّبًا

بَيْنَ أَربعَةِ جدرانٍ.

هل هذا صَدى صَوتي

الَّذي تَلتَقِطُه أُذُناي المنكَمِشتانِ

وهو خارِجٌ من المدينَةِ

اخْتَبَأَ في قَرْيَةٍ،

وهو خارِجٌ من قَرْيَةٍ

اختبَأَ جيِّدًا في حفرة وراءَ بوَّابَةِ السِّجْنِ...
غَطَّاني الصَّمتُ واختَفَت من أمامي الأَلْسُنُ

الَّتي كانَت تُردِّدُ كَلماتٍ من نَوْعِ:
«لا واللهِ»،

«مَعَ السَّلامَة»،
«مِشْ بالظَّبْط كِدَه»،

«رَوَّقْ»،
«مِسيرها تِحْلَى»...
إلى آخِرِهِ من ألفاظٍ تَتداوَلُها جَماعَتُنا

وهي تَتلاطَمُ وتَتصارَعُ
وراءَ صُندوقٍ من القمامَةِ،

وفي مواسير الصَّرْفِ

وبينَ نَوافِذِ الشُّقَقِ المكتومَةِ.

سِيَّانَ؛ فأمَاكِنُنا التي نَرتادُ

يَعْرِفُها القاصي والدَّاني

فَما نَحْنُ إلَّا ظِلالٌ مَذعورَةٌ يُحرِّكُها الفَراغُ

بينَ دوائِرِ الضَّعْفِ

وبينَ مَناوِرِ البُيوتِ

وفَوقَ خُرافَةِ أَنَّنا وحوشٌ ومَصَّاصو دِماءٍ

زِدْ على ذَلِكَ:

كَوْنُنا مَعكوسٌ؛ ما نبدو بين ناظِرَيْكُم

مُجرَّدَ ثُلَّةٍ من المغفَّلين

وتَحديدًا بين تلك الجُدرانِ الَّتي اختَرْناها

وأَنْتُم بِداخِلِها مُكتَئِبون لَيْلَ نَهارَ

ولا تَكُفُّون عن إغْوائِنا بِقِطعَةِ جُبْنٍ في مَصْيَدَة

ما هي إلَّا بمثابَةِ نِداءٍ خَفِيٍّ لملَكِ الموت

على جُثَثِنا المزْدَهِرَةِ بِفَواتِ الأَوانِ

وهَذِهِ الأَكُفُّ الدَّنيئَةُ -أَكُفُّكُم-

تَرفَعُنا بَعْدَ الموْتِ

من الأَرْضِ إلى الأَكياسِ السَّوداءِ

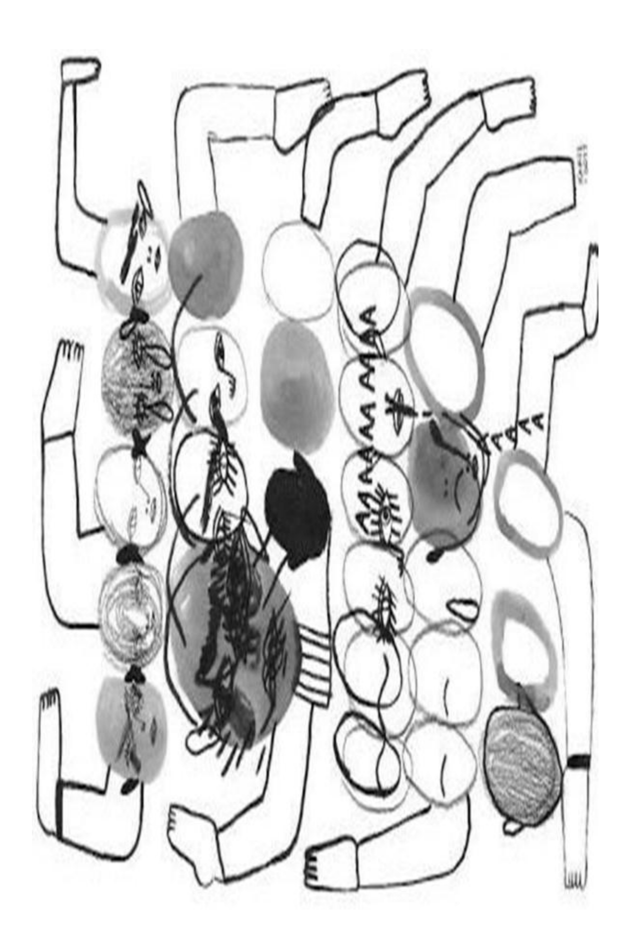
ثُمَّ نُلْقَى في الهَواءِ

لِتلكَ الوحوشِ الَّتي اعتادَت

نَبْشَ الرُّفاتِ وفِعْلَ الضِّباع

أَيْنَ اختَفَت أظافِرُنا

أَيْنَ الله؟



(3)

خرجتُ إلى دوائري لأفتِّش عنِّي

بِوُدِّي أن أتعرَّفَ إليَّ

ياما ساعَدتُ آخرين

وحَمَلتُ رسائِلَ لِذَويهِم

وكأنَّني ساعي بَريدٍ

لجنودٍ في ساحَةِ حَرْبٍ

أيُّ إثمٍ أرْتَكِبُه في حَقِّ نَفسي

لو ظَلَلتُ هَكذا أَرْقُبُ الخارجَ

ولا أُجْزِمُ أنَّني هُنا تَعطَّلَت قدماي

وهنا دَفَعتُ بِهِما

لأُواصِلَ الجَرْيَ في الوَحْلِ

مِمَّ؟! لا أَعرِفُ!

هل ثَمَّةَ قِطٌّ من مُعَسكَرِ الأَعداءِ سَيَلْتَهِمُني؟!

(4)

اسمي ذو دلالَةٍ

على حُسْنِ الظَّنِّ بالنَّاس

ربَّاني أبَوايَ

في خَرَّارَةٍ تتوسَّطُ حَيًّا راقيًا

بمصر الجديدة

كان مُلَّاكُها عَطوفين للغايَةِ،

ويَتركون نِصْفَ وَجَباتِهِم مُلقاةً
كأنَّهم يملؤون بُطونَهم

بالنَّظَرِ للأَطْعِمَةِ الشَّهِيَّة
ويأكلون بِضَربِ الملعَقَةِ والشَّوكَةِ والسِّكِّين في الأَطباقِ
هل مُفيدٌ وجَذّابٌ بالنِّسبَةِ لَكُم
أَنْ أُخبِرَكُم متى دَخَّنتُ أَوَّلَ سيجارَةٍ،

وأَيُّ فَأرَةٍ من عائِلاتِ الأَغنِياءِ
كانت حَنونَ

وشارَكَتني مُعْجِزَةَ أَنْ يكونَ لِفِلْتَرِها قُدْرَةُ اللَّضْمِ
بين مَرْوَحِتِها وشَيْئِي؟
ظَلَلنا لِسنواتٍ نَتبادَلُ الشَّمَّ:
هي شَبيهَةٌ بأُغنِيَةٍ في دار الأوبرا
وأنا مُراهِقٌ أَحْمَقُ، لا يَحْلُمُ بِشَيءٍ

سِوى أَنْ تَزولَ تِلكَ الحُفَرُ

الَّتي تَفْصِلُ بَينَ جَسَدَيْنا،

بينما الجَميعُ مِن حولِي وحولها

مُغادِرونَ إلى العاصِمَةِ الجَديدَةِ

ولا يَشْغَلُ حَيِّزَ تَفكيرِهم

أَيُّ رائِحَةٍ جَعَلَت العالَمَ أَفضلَ

وَأنا وهِيَ

نَضْرِبُ مَعًا بِأَرْجُلِنا؛

احترامًا لِذكرياتِنا

الَّتي خَلَّدَتها رائِحَةُ الجِنْسِ...



(5)

تِسعَةُ أشهر، وأيَّامٌ، ودَقائِقُ..
اعتدتُ فيها
على مُرافَقَةِ تَفاهاتي الصَّغيرَةِ
من بُقعَةٍ إلى أُخرى

مُجرَّدُ شُعورٍ مُستديمٍ بِعَدَم الرِّضا
يُهيمِنُ عليَّ فَجأَةً
ويَرفَعُ رايَتَه البَغيضَةَ الدَّامِيَة
بين ضُلوعي

وبِبُطءٍ يُحوِّلني إلىٍ فَأرٍ صَموتٍ حائرٍ
لأَذهبَ بِكامِلِ وَعْيِي
وأُفتِّشَ عن صِفاتي...
هل أنا حَقًّا
هَشٌّ وفارِغ ولا لزوم لي؟

(6)

نَثْرٌ يَلْتَقِطُ نَثْرًا،

ويدورُ من شُبَّاكِ صالَةٍ

إلى ثلَّاجَة طعامٍ.

بودِّي أن أَحفَظَه

بتلك الضَّغطَةِ السِّحريَّةِ

فوق شاشة الكيبورد: «save»

بين تجاويفِ رَأْسِي

ثُمَّ أَضَعُها في الفريزَر..

ربَّما تخرج هي

وما تَحويه من ألفاظٍ وجُمَلٍ وفقراتٍ

في دَرجَةِ حرارةٍ أَقَلَّ من الصِّفر..

وأَنْ تكونَ على وَشَكِ الزَّوال.

فليَحْدُثْ ما لا أَتوقَّعُه

في تلك الزَّاوية

التي تَصِلُ بين صالَةٍ وثَلَّاجةِ طَعامٍ..

وأنا حائِرٌ ومُرتابٌ

كأنَّ نُسْخَة مِنِّي

هي لَيْسَت تلك الأنا الابْنَةُ

لِفَأْرٍ مُتضخِّمِ الوجْدانِ؛

شاعريَّةٌ، ومُحِبَّةٌ للموسيقى والكَلام.

انْضَمَمْتُ إلى رَهْطِ الذُّبولِ

وخَضَعتُ لِتجربَةِ الذَّهاب

إلى عَقيدَةِ اللَّا جَدْوَى.

رافَقَني هو نَفْسُه:

أَلفاظُه، جُمَلُه، فقراتُه...

وأَنا أُشكِّلُ بِفُتاتِ العَجينِ الَّذي سَرَقناه

من بيوتِ الأَغنياءِ

نَقْشًا لأبي وأُمِّي..

وهُما عائِدان من صالَةِ ديسكو

مُتحاضِنانِ، باكِيان

لِأَنَّ ثَمَّةَ قُنْبُلَةً وُضِعَت تَحتَ البار.

حَضَرَ رِجالٌ مُسلَّحون،

ورِجالٌ غَيرُ مُسلحَّين

ها هُما يَهْذِيان

بِلا تَرتيبٍ لمعنى

فَوْرَ دَويِّ الانفجارِ

وقَد ماتَ رَفيقُهُما «مطاوع»

بالقُرْبِ من بابٍ لِحَمَّامٍ عُموميٍّ

لِحُسْنِ حَظِّهما

كانا جالِسَيْن كما اعتادا

– مطاوع أبو الحسن: اسم لشخصية حقيقية تعرضت لهجوم مسلح من ميليشيات الإسلام السياسي، في بداية التسعينيات.

بِجانِبِ مَخْرَجٍ مُباشرٍ للشَّارع

فَهَرَعا وَفَرَّا؛

لأنَّهما التقطا نَثْرَ النَّغمةِ

ولا تَكفُّ حَرَكَةُ شِفاهِهما

عن استبدالِه بالدِّماء.

الدِّماءُ.. الدِّماءُ،

يا مَعْشَرَ الفِئرانِ

الدِّماءُ التي لا تَتجلَّطُ ولا تُعَدُّ للأَبَدِ

قِصَّةً من قَصَصِ الماضي البَعيدِ

ويَفْصِلُني عن أَلفاظِها وجُمَلِها وفَقَراتِها

الآلافُ والآلافُ

من الثَّواني والسَّاعاتِ والأيَّام.



(7)

سُئِلْتُ مُباشَرَةً:

هَل تَعرفُ أن تتهجَّاها؟

كُنَّا في شُرْفَةِ بَيتٍ مُجاورٍ لِعَمائِرِ الضُّبَّاط

وهي فأرةٌ مُتحرِّرةٌ

من فَرْوِ جَسَدِها

ذَهَبَت بِمَحْضِ إرادَتِها لِحِقبَةِ المَلَلِ

فَمِنْ حَقِّ أَيٍّ مِنَّا

أَنْ يَتخَلَّصَ من داء الاخْتباءِ

ويَقومَ بالفِعْلِ نَفْسِه؛

أَمَلًا في الظُّهورِ لأخيه

مُقابِلَ كَشْطِ نِصْفِ مُحتوياتِ

ذِكرياتِه الرَّديئَةِ

الشَّوارِعُ بادِيَةٌ أَمامَ نَاظِرَيْنا

مَغْسولَةً بالنَّدَى والعَصافير

والاكتِئابُ يُحاصِرُ كِلَيْنا

في شُرفَة بَيتٍ مُجاورٍ لعَمائِرِ الضُّبَّاط

سُئِلْتُ مُباشَرَةً:

هل تعرفُ أن تتهجَّاها؟

وكَم من مَرَّةٍ

أصاب بحِيَرَة التَّذَكُّرِ والنِّسيان...

ما الَّذي أَوْقَفَ لِساني

وعَيناها تَبحثانِ عَن ارْتِطامِ

نَكِرَةٍ بِمَعْرِفَة؟

(8)

ما الَّذي دَهاني عن تِلْكَ الطَّريقِ

الَّتي بِوُدِّي السَّيْرُ فيها

أَيٌّ مِنهُم أَيْقَظَني،

هَؤلاءِ الَّذين يُنادونَني

من وراءِ سِتارَةِ الأَحلامِ

شِبْهَ مُستَيْقِظٍ، شِبْهَ نائِمٍ..

لا رَغْبَةَ لَديَّ

سوى في قَضْمِ مَخبوزاتٍ طَرِيَّةٍ،

وكُوبٍ من الشَّاي

أَيُّهُم يَعلو صَدى صَوْتِه بين ضُلوعي

لأَلْتِقَطَه من صندوقِ الذِّكرياتِ،

ويُعادَ حَيًّا

كأَيِّ فَرِدٍ من جماعَةِ الفِئرانِ

يُفْسِدُ عَليَّ وحْدَتي

وإِصغائي لوُجود تُشكِّلُه المؤامراتُ

والنِّزاعُ الدَّائِرُ بالأَسلِحَةِ الثَّقيلَةِ على حُدودِ البُلدانِ؟

هل جاءَ هذا الأَبْلَهُ

من نَعيمِ جَنَّةِ الخُلْدِ

-الَّتي ياما قال عنها

خَطيبُ المدافِنِ إنَّها للشُّهداءِ-

لِيُشارِكَني صباحي الكَئيبَ،

ويَجْعَلَ صورَةَ الواقِعِ مَهزوزَةً

أَمامَ ناظِرَيَّ؟

اعتدتُ -وأَنا بِمُفْرَدي تمامًا،

ووَحيدٌ تمامًا-

أَنْ يكونَ لِبَصيرَتي عَدساتٌ مُكَبِّرَة،

أَلْتَقِطُ بها فأراتي الافْتراضِيَّات

فِي مواقِعِ الدَّعارَةِ الإلكترونيَّة،

وأَصدقائي الطَّيِّبين فِي مواقِعِ التَّواصُلِ،

وأَغْزِلُ بِهِما معًا

عائِلَةً مُفتَرِسَةً وجَبَّارَةً من الفِئرانِ

أُطْلِقُها من مُخيِّلَتي

من كَثْرَةِ الصِّدْقِ مع النَّفْسِ

إلى الفَتْكِ بِمُرَوِّجي الأَكاذيبِ

وحامِلي شُعْلَةِ الفِتَنِ

ومانِحي الفُتاتِ للمُوظَّفين

ومُغتَصِبي وَجْهِ مُذيعَةِ التِّليفزيون

وهي تدور بِشَجاعَةٍ

لِتَهربَ من غُرفَةٍ إلى سَلالِمِ طائِرَةٍ مَروحيَّةٍ

لِتنجُوَ من الاعْتِقالِ



(9)

ماضٍ إلى النُّقطَةِ ذاتِها

نُقطَةِ تَمركُزي

وأنا خارِجٌ للتَّجوُّل والعَصفِ الذِّهني

مَلَّت قَدمايَ الارْتِكازَ

فِي خاناتٍ ضَيِّقَةٍ

والفُرجَةَ على الذُّبول

ذاهِبٌ للبَراحِ،

يُرافِقُني كُلُّ ما هو مَوصوفٌ وليس ابنا لتجربتي

لِتَتساقَطَ من بين ضُلوعي

ابْنَةُ الاكتِمالِ والغَطرسَةِ والنَّظَرِ للآخرين...

من باب كتالوج الماضي والحاضِرِ.

بِودِّي أن تكونَ لأَنايَ وَردَةٌ

ذاتُ أَسنانٍ هَشَّةٍ، ورُوحُ فَأرٍ

وهو خارِجٌ للتَّجوُّل والعَصْفِ الذِّهني.

لا يُمكِنُني سِوى احترامِ المستَقبَلِ البَعيدِ

باسمِ تِلكَ المفرداتِ

الَّتي تَتَبعثرُ كُلَّ ظهيرةٍ

من فَمِ امْرَأةٍ لِرَجُلِها...

باسم المصيدةِ الوجوديَّةِ الكبيرَةِ

وهي تَحصُدُ الأرواحَ

بالجَراثيمِ المُخَلَّقَةِ في مَعامِلِ رَأسِ المال...

باسم القِيامِ والقُعودِ

في المساجِدِ والكَنائِسِ والمعابِدِ،

وعلى تلك الدِّكَكِ الخَفيَّةِ

لإخوتي اللا دينيِّين

بمُحاذاةِ شارعِ الملْحِدين...

باسْمِ الَّذي فَقَدتُه

وضَرَبَ اليَأسُ إمكانِيَّةَ أَنْ أَلْتَقِيَه

على بابِ مترو المدينَةِ...

باسْمِ مَذابِحِ الفِئْرانِ،

وباسمي، وأنا أَتباكى على ضَحاياي،

ثُمَّ حَدَثَ ما لا أَتوقَّعُه في ساعَةِ الحَسْمِ:

ارْتَبْتُ في مُعْتَقَدي،

وواجَهَتني آلَةُ مَحْوٍ

لم تَكُنْ مرئيَّةً في واقِعي،

ولَكِنَّها -للأَسَف- مَحْضُ خَيالٍ

تَذْبُلُ لِأَجْلِه جميعُ وَرْداتي،

وأَصابَ بِحَتْمِيَّةِ الذُّعْرِ

والارتدادِ لمخْبَئِي،

وأنا أَدْفَعُ بِقَدَمَيَّ الخَلفِيَّتَيْن

سَطْحَ جَسَدي؛

لِتُكْتَبَ لي النَّجاةُ...

هل تَفَكَّكَ مَعناكَ

أَيَا مُعْتَقَدي

أَمْ عليَّ أَنْ أَلْتَقِطَكَ

من بين ضُلوعي

حَرفًا حَرفًا،

وكلمَةً كلمةً،

ثمَّ تمّحي جُمَلُكَ الرَّنَّانة

ذاتُ الإيقاعِ القُرآنيِّ في قِصارِ السُّوَر،

بينما كنتُ أَبْذُلُ

بِعاطِفَتي طاقَةً حِسِّيَّةً مُضاعَفَةً

لِتلتَحِقَ أيَهُّا الأَحْمَقُ النَّذْلُ المخادِعُ

مِثْلَ عَرَبةِ قِطارٍ أَخيرَةٍ

في طَريقِها لمخزَنِ السِّكَكِ الحديديَّةِ

بإنجيلٍ مُخْتَصَرٍ وموسيقاه تَعلو

على نَشيدِ الإنشادِ، ومَزاميرِ إِشْعِيَا،

وأكون بِذلكَ جَعَلتُ مِنكَ

سَيِّدي ومَولايَ ومُخَلِّصي

من تَراكُمِ ذلك الشُّعورِ المخاتِلِ بالنَّصْرِ والإهانَة.

(10)

يتفتَّتُ كُلُّ شَيءٍ من حَوْلي

بلا وجودٍ لِنداءٍ خَفيٍّ

مثل تلك الآلاتِ التَّحذيريَّةِ

التي تُقالُ من أَلْسِنَةٍ بَشريَّةٍ

ونحن مُختَبِئون

في تجاويفِ أَنفاقِ مترو المدينَةِ

أَينَ أَصواتُ أولئِكَ التَّافِهون

الَّذين يُردِّدون: «الحَذَرَ.. الحَذَر»...

هل امتلكنا العُمرانَ

بعد أن صار خرابَةً لأَعْيُنِنا المذعورَةِ،

واختَفَت الدِّكَكُ الخرسانِيَّةُ، العَمائِرُ،

الكنائِسُ السِّرِّيَّةُ، سَلالِمُ نوادي الأَثرياءِ،

السِّينماتُ، أَكشاكُ بَيْعِ السَّجائِرِ الفَرْطِ،

مطاعِمِ الكُشَري، مُراقِبونا وهم يُطارِدون

اللهَ في مجموعَةٍ من الفئرانِ بلا حَوْلٍ وبلا قُوَّة...

انتبهتُ أَنَّني في بيتٍ جديدٍ،

ولَدَيَّ صديقةٌ فَأَرَةٌ تُدْعَى «الدُّبَّة»...

ما الذي جاء بالمحبَّة

وسطَ هذه الفوضى القاتِلَةِ لموسيقايَ؟
من أيٍّ حفرةٍ تحدَّثَت إليَّ

وأنا عارٍ من الإيمان البسيط بالمعجِزاتِ
كيف زحَفَت من بين جُثَثِ القَتْلى

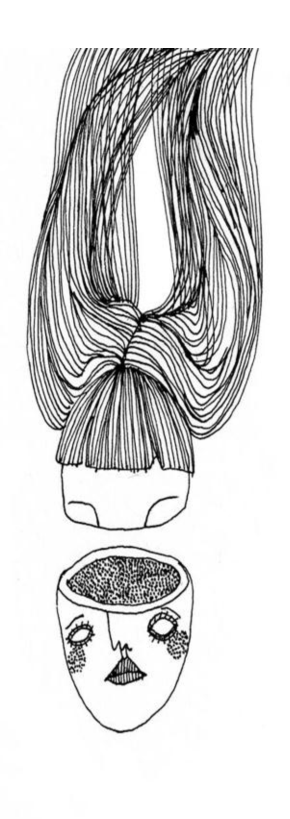
تحتَ الأَنقاضِ ولامَسَت عُنُقي،

وأَمْسَكَت بأُذُني الطويلتَيْن،

وغَنَّت لي إيروتيكا قديمةً،

عن فَأرٍ وفَأرةٍ ذَهَبا في نُزهَةٍ للحُقول،
تُرافِقُهما أصواتُ الضفادع،

وتلك المياهُ التي تَتساقَطُ من شَجرَة الاسْتِغناءِ
عن الآخرين.





(11)

اعترافاتٌ،

تَلِيها اعترافاتٌ،

يَليها حُزنٌ غامِضٌ؛

لِكَوْني جاهِلًا بِهَذَيْن القَوْسَيْن

اللَّذَيْن بإمكاني تَمييزُهما ضِمْنَ العلاماتِ..

لأضَعَ جُملَةً مُختَصَرَةً

عن رِحْلَتي كَفأرٍ شُجاعٍ ومِسكينٍ؛
أَنْ أَلْضُمُ مَعنايَ بإبرَةِ الوجود.
سَئِمْتُ إِبرَةَ العَدَمِ

الَّتي تُلاحِقُني مُنْذُ عامٍ ونِصفِ العامِ..
لماذا تَهُبُّ زَعابيبُ خَلْوَتي بالأَتْربَةِ وتَعطيلِ الرُّؤيَة؟

كان مُقدَّرًا لي أَنْ أَمشي بجانِبِ النَّهرِ

وأَلْتَقي بهؤلاءِ التَّائهين بِجَرعاتٍ كَبيرَةٍ
مِن عَقيدَةِ اللَّا جَدوى..
اقْتَرَبَ صَوتُ أَحدِهِم،

وأنا ساهِمٌ أَمامَ لَوحَةِ اللَّيلِ

بِجانِبِ أَسَدَيْ كُوبري قَصْرِ النِّيل،
وأَخْبَرَني وقائِعَ عَنْ حَربٍ بَينَ إخْوَتِه..

عن بَيتٍ تَرَكَه الوالِدُ في قَريَةٍ بَعيدَةٍ..

مُجرَّدُ بَيتٍ من ثلاثَةِ طَوابِقَ

هَيْمَنَت بِسبَبِه الكَراهِيَةُ على أَفعالِهِم الدَّنيئَةِ

ورفَعوا في وجوه بَعضِهِم البعض

الجنازيرَ والسَّكاكينَ والشَّتائِم.

جُنَّ الرَّجلُ

ورَكَلَ كُلَّ هذا الخراءِ الإنسانيِّ

وخَرَجَ بحقيبةٍ قُماشيَّةٍ «هانْد ميد»

مَملوءَةٍ عن آخِرِها بعالَمِه،

طَقمًا من الملابِسِ غير الَّذي يُغطِّي جَسَدَه،

صورَةَ زفافِ الوالِدَيْن، النَّظرةَ الأولى بينهما

فِي سوق شعبي لتجارة الأقمشة والمنسوجات،

أَكثرَ من مُجلَّدٍ عن المشْيِ والتَّسكُّعِ،

ووَردةً ذابِلَةً بين دفَّتَيْ كتابٍ.

بماذا أُمِدُّه من الأَلفاظِ،

فَليسَ بِحوْزَتِي إلَّا صَنعَةُ الكَلامِ..

إيه يا عَم..

اتْرُكْها على الله؛

انْظُرْ لهذِهِ السَّيِّدة الَّتي يَبدو وَجهُها

مُلطَّخًا بالأَوساخِ

من كَثْرَةِ النَّومِ فَوقَ الأَرْصِفَةِ وتَحتَ الكَباري،

وفي بيوت يذكر فيها اسم الله.

تَأمَّلْها يا عَمّ..

هي مِثلُكَ ومِثلي

ومِثلُ هَؤلاءِ التَّائِهين أمامَ لَوحَةِ اللَّيلِ

فَلا تَبْتَئِسْ،

أَبِوُدِّكَ قَليلًا من المالِ لِتأكُلَ وتَشربَ وتُدَخِّنَ،

أَمْ ماذا؟

لو أَرَدْتَ عَينيَّ فَخُذْهُما؛

فَهُما سَبَبَا شَقائي،

اعْتَادَتا المكوثَ في تِلْكَ البُقْعَةِ

لانْتِظارِ أَنْ تَصِيرَا دامِعَتَيْن

لالْتِقاطِهما لِلَوْحَةِ البُؤسِ،

وابْتِعادِهما عن مُتابَعَةِ جَمالِ لَوحَةِ اللَّيل.

(12)

انْتَهَت القِصَّةُ،

وعُدتُ لِتَدوينِها من جَديد.

لا بُدَّ للمَرْءِ ذي الرُّوحِ الَّتي لِفَأرٍ

أَنْ يَهربَ، ويهربَ، ويهرب...

ثم تَنالُ منه الارتدادَةُ الكُبرى،

تلك الارْتِدادَةُ المرتَبِطَةُ بالتَّأَمُّلِ والتَّفكيرِ

خارجَ العاطِفَة،

أَيَّةُ ضَآلَةٍ جَعَلَت من عَا لِم اسْتهلاكِ:

حبوبِ مَنْعِ الحَمْلِ، العَوازِلِ الطِّبِّيَّةِ،

أَطْعِمَةِ زيادَةِ الوَزنِ، ركوبِ الطَّائراتِ والهُبوطِ منها،

الوُقوفِ على حافَّةِ رَصيفٍ لِتوديعِ عَزيزٍ

ذاهِبٍ في قِطارِ آخِرِ اللَّيلِ لِثكنَةٍ عَسكريَّة؛

وما إلى ذلك من محطَّاتٍ

حَوَّلَت الحياةَ إلى مُجرَّدِ دراما للالْتِهام.

بِوُدِّي أَنْ أَتقيَّأَ الماضي

وأَنْظُرَ إليه بِحيادٍ.

لستُ راضِيًا بِوَعيٍ كاملٍ

أنَّني سَمحتُ لِيَديَّ أَنْ تُغادِرا نَزَقَ الشَّبابِ،

وتِلكَ المطواةُ التي رافَقَتني

وأنا أُدافِعُ عن مَعشوقتي

وهي ماضِيَةٌ بِفُستانٍ مَكشوفٍ

لملاقاتي تَحتَ شجرةِ المكتبةِ العامَّةِ..

المكتَبَة الَّتي يَستَبدِلون اسْمَها

من حِقْبَةِ مَلَلٍ إلى أُخرى؛

فمرَّةً يُطلِقون عَليها اسمَ «المنصورَة»،

ومرَّة يُطْلِقون اسْمَ «السَّيِّدَة سوزان»،

ومَرَّةً يَحتارون في تَسْمِيَتِها،

مُتجاهِلين ابْنَةَ قلبي وهي تَنْظُرُ لي

بِعَيْنَيْن شابَّتَيْن دامِعَتَيْن،

كأنَّها بِصُحْبَةِ رَجُلٍ مُهمٍّ، وتَتَساءَلُ:

أَتَستطيعُ أَنْ تَجعلَ المحافِظَ

يُطلِقُ اسمي على هَذه المنشَأَةِ

العامِرَةِ بالكُتُبِ، ولا يَرتادُها أَحَد؟

ربَّما وأَنا أَعَضُّ عُنُقَكِ الطَّويلَ

بِأسناني الهشَّةِ

تَحتارُ هَذِهِ الأُمَّةُ

ـــمن الفلَّاحين والعُمَّال والصَّنايعيَّة-

في اختيار باذِخَةِ الحُسْنِ

لِمُرافَقَةِ رَجُلٍ رَثِّ الثِّيابِ، لا لِشَيءٍ

إلَّا لِكَوْنِه يَرتَجِلُ الكَلماتِ الإيروتيكيَّةَ

الشبيهة بالزجاج المنثور

لِتُرى في أَعُين المارِّين في شارِعِ البَحْرِ

في هَيئَةِ اسْمٍ مَحفورٍ، يُجاوِرُه تَمثالٌ

يُزيِّنُ السَّاحةَ الضَّيِّقَةَ

بين دَوَرانِ شارِعٍ ودِكَّةٍ خَشبيَّةٍ

تَحتَ شَجرةِ المكتبَةِ العامَّة.



(13)

لماذا يَرَونَنا على هَذه الصُّورةِ الرَّديئَةِ؛

فَما نَحنُ إلَّا مُجرَّدَ مَرايا لمكتَئِبين

وحامِلي شِفاهٍ مَزمومَةٍ

من حِقْبَةِ مَلَلٍ إلى أُخرَى

لم نُجرِّبْ مَرَّةً قَوْلَ ما يدور بين ضُلوعِنا

من حَقائِقَ عَنيفَةٍ.

لماذا يَرَوْننا عَلى هَذِه الصُّورَةِ الرَّديئَةِ

هَؤلاءِ القِحابُ، أَصحابُ جُوقَةٍ:

«كُنْ مَعَنا.. وَلا تَكُنْ عَلَينا»...

فَنَحن لَسْنا مَشغولين

سِوى بِتَشوُّهاتِنا كَفِئرانٍ بِوُدِّها شَيْئَان:

الانَتقامُ من النَّظامِ بالفَوْضَى،

وبالفُجورِ من الرَّذيلَةِ.

لماذا يَرَوننا على هَذِه الصُّورَةِ الرَّديئَةِ؟

أيُّ لَعْنَةٍ حَلَّت عَلَينا لِنَظَلَّ صامِتِين

بجانِبِ جَيشٍ من العَبيدِ الجُدُدِ؛

فئران عالَمٍ من الدَّرَجَةِ الثَّالِثَة..

لَيْسَ بإمكانِهِم سوى إلقاءِ طائِراتِهِم الوَرقيَّة

في بُحَيرَةٍ راكِدَةٍ من الصِّدقِ الفَنِّيِّ؟

(14)

بودِّي الإنصاتُ إلى ما وراءِ الجُدران،

تلك الجدران التي تُنْشِئُها عيناي ولم يَلْحَظْها أحدٌ

ولا حتَّى أَبَوايَ العَزيزان في فَترَةِ «حَبِّ الشَّباب»،

ودهانِ الكِريمات المرطِّبَة،

وتَرديدِ الأناشيدِ ذاتِ الأَسْجاعِ الباهِتَةِ..

عن الدِّفءِ العائِلِيِّ لجماعَةِ الفِئْرانِ.

بودِّي الإنصاتُ إلى ما وراء الجُدران،

بِرُفقَةِ أَوَّلِ سيجارَةٍ

وكوبٍ من القَهوَةِ -السَّاخِنَةِ جِدًّا- بالحليب؛

فَلَيْسَ مَقْصِدي تلك الجُدران

الَّتي اعتدتُ النَّظَرَ إليها

في مرحَلةِ الخُروجِ من بيت العائِلَة،

والعَيْشِ بجوارِ فَأرَةٍ ناعِمَةٍ،

بعد كُلِّ استيقاظٍ من النَّوم.

مُنذُ عشراتِ السِّنين،

وتحديدًا في منتَصفِ حقبَةِ التِّسعينيَّات،

سواءٌ كُنتُ في عَلاقَةٍ

مع مُلْهِمَةٍ تُشارِكُني سريري وأحلامي،

أو ذَكَرًا مُفرَدًا، حائِرًا لمن يُغرِّدُ،

مُردِّدًا: «صَباحُ الخَيرِ»،

مُتسائِلًا لِجَلْبِ المَوَدَّةِ الزَّائِفَةِ:

«أَينَ عُلبةُ التَّبْغِ.. بَلْ أينَ وَلَّاعَتي الزَّرقاء!»،

و«ذَلِكَ المجلَّد الضَّخمُ –الشَّبيهُ بالجُثَّةِ– عن تاريخِ الموسيقا،

وكان نائِمًا بين ذِرَاعَيَّ الطَّويلَتَيْن... أينَ هو، يا امرأة؟!»،

صارِخًا في وَجْهِها المدوَّرِ كَقَمرِ السَّماء،

ويداي تَحتضِنان الفَراغَ،

وقابِضتانِ عَلَيهِ بِتَشنُّجٍ،

تَسري بِسَبَبِه آلامٌ لا أَعرفُ كُنْهَها..

ذلك الفَراغَ المرافِقَ

لوجودِ الآخَرِ النَّموذَجيِّ في حياتي.

نعم، وبِكُلِّ بَساطَةٍ،

لم يَكُنْ بإمكانِ إحداهُنَّ مَلءُ مقاعِدي الشَّاغِرَة

الفِئرانُ كما تَعرفون يا إخوَةَ النُّقصانِ

لَدَيهم صِيَغٌ جامِدَةٌ، وأُخرى لَيِّنَة..

وأنا -للأَسَف-

اعتَدتُ الانْدماجَ في خَطِّ إنتاجِ ما يَتوسَّطُهما

من قاذوراتٍ وفَضَلاتٍ،

وبقايا في سَلَّةِ المهْمَلات.

أينَ تلك البَراءَةُ

الَّتي تَجعَلُني أَحمِلُ مطواةً في نَزَقِ الشَّباب،

المطواةَ التي كُنتُ أُخفيها

في جَيبِ بِنطالي الجينز «الدِّرْتي»
ولا أُريها إلَّا لِرفاقِ السُّوء

في تلك المناطِقِ الشَّعبيَّة،
التي تخشى الدخولَ في دهاليزِها عرباتُ البوليس،
فما بالُكُم بفأر رومانسيٍّ في مُقتبَلِ العُمر،
يكتُبُ الشِّعرَ الموزونَ،

ولا يُجرِّب من بُحورِه سوى إيقاعَيْن.

أين ذَهَبَت تلك الرُّوحُ الجَسورَةُ،
يا إخْوَةَ النُّقصانِ؟
وأنا واقِفٌ بين جسدَيْن ضَخمَيْن

لاثنَيْن من جماعَةِ الفِئرانِ النَّاهِبَةِ للجَمال،
وهُما يهدِّدان رفيقي بالسَّرِقَةِ والنَّصب،
وما كان مِنِّي إلَّا رَشْقُ مِطواتي في بَطْنِ أَحدِهِما

لِينزِفَ دَمًا حقيقيًّا،

ويهربَ زَميلُه الآخَرُ، اللِّصُّ الجَبانُ،

من ظُلْمَةِ سوق «سَتُّوتة»

إلى أَعْمِدَةِ الإنارَةِ في شارع «الجلاء».

منذُ أرَدتُ الاندماجَ في أَكاذيبِ الوجودِ

وأنا أتخفَّى في صورة فأر عاقِلٍ،

مجرَّد صورَة مزيَّفة لي،

لَكَمْ تَضرِبُ مَروَحَةُ الفَرِحِ بين ضُلوعي!

وشفرَةُ مِطواتي تَعملُ

– سوق ستوتة، شارع الجلاء: مكانان في مدينة المنصورة.

فِي ذلك الجِلْدِ الميِّتِ لهولاء السَّفَلَة

الذين أَلْتَقيهِم بِروحِ مُجرِمٍ هاربٍ

من تلك الجُدرانِ الَّتي تُنشِئُها عيناي،

ولم يَلْحَظْها أَحَدٌ،

ولا حَتَّى أَبواي العَزيزان.

(15)

«انْتَبِهْ.. ولا تَتَعثَّرْ»...

قال رفيقٌ نَسِيَ أنَّه فَأرٌ،

وهو في الظَّلامِ الدَّامس

لمأساتَيْن تتكرَّران بانتظامٍ،

لا أعرف على وجه التَّحديد

متى وكيف دار بيننا ديالوج طويلٌ

عن نَصيحَتِه وعن آلامه

المرافِقَةِ لِفَقْدِ أَمانِه خلالَهما.

انْتَبِهْ.. ولا تَتعثَّر يا أخي؛

فالمقبَرَةُ تَفتَحُ فَمَها على اتِّساعها

لالتقاطِ جَسَديْنا الهَشَّيْن الضَّعيفَيْن؛

فنحن قومٌ تَقتُلنا الكَلماتُ،

وكَمْ من وَغْدٍ حَقيرٍ

رَمى بحروفِه في الهواء،

ثُمَّ طارَت وهي مَسنونَةٌ،

كسكاكين المطابِخِ،

وانْغَرَزَت بِطَعْنَةِ الغَدْرِ

بين ضُلوعِنا.

انْتَبِهْ.. ولا تَتعثَّرْ يا أخي،

وتَعالَ لِتُمْسِكَ أَكُفُّنا الأَربعَةُ

جِدارًا ينهار..

هيَّا... حاوِلْ؛

لِكَي نَسْنِدَه،

والتَّعَبُ والإِرهاقُ مُصاحِبانِ لِنُقْطَةِ الذُّروَةِ،

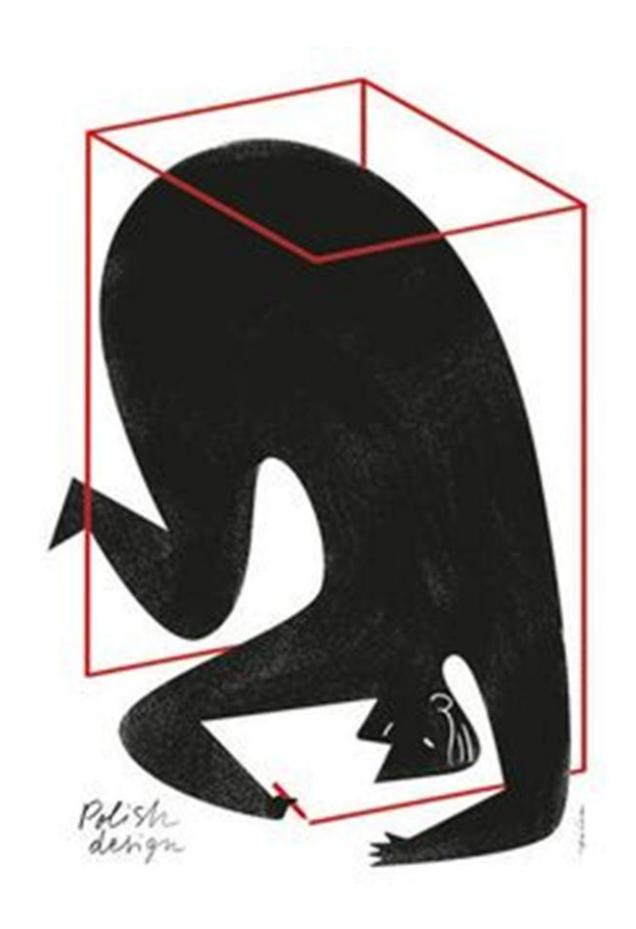
وقد صار بإمْكانِنا إعادَتُه

لارْتِكازِهِ قائِمًا بلا شَكٍّ

وبلا ريبَةٍ في السُّقوطِ مَرَّةً أُخرى؛

لِنَتعارَفَ إِلَيه وإلى أَنْفُسِنا

وقد صارَت ابْنَةَ الصُّمودِ والعِناد.


Polish design

(16)

لا تُجاهِرْ بِغُفرانٍ...

اكْرَهْ مَن يَكْرَهُكَ،

وضَعْهُ عَلى حَدِّ السِّكِّين لو استطعتَ...

مَزِّقْه يا أخي...

عَليكَ أَنْ تُقطِّعَه،

ولو قُدِّرَ لكَ أن تحرِقَه فافْعَلْ،

وانْثُرْ رَمادَه في بِرْكَةٍ راكِدَةٍ

لتُلاحِقَه اللَّعناتُ!

لسنا مُطالَبين أن نتخلَّى عن تلك الآلآم

التي جلَبَها بَشَرٌ مُنحطُّون إلى حَدائِقنا،

لمجرَّد أنَّهم ظَنُّوا بأنفسهم أبناءَ حَقٍّ،

وذَوي أَعيُنٍ تِلِّسكوبيَّةٍ

وحَدقاتٍ بِحَجمِ ما يدور بين ضُلوعِنا

من تَرَدُّدٍ وإقدام.

لا تُسْهِمْ في غَدٍ مُتكرِّر

بِتكاثُرِ هذه السُّلالاتِ

فوقَ أَرضِ المحبَّة والنُّور،

أَلْقِ بهم وبِقَصَصِهم المتعفِّنَةِ

الشَّبيهة بِقططٍ ميِّتةٍ،

بعيدًا عن مُعَسكَرِنا...

فلتركُلْ ظِلَّهم القَميءَ

فِي تلك التَّماثيلِ الحجريَّة،

التي وُضِعَت فِي الميادين

لِتخليدِ ذِكراهم،

وأمجادِ سَفْكِ الدِّماء...

احْمِلْ وَردَةَ ضحاياكَ،

وانْفُخْ فيها من روحِ الغِلِّ الَّتي حاصروكَ بها،

حَرِّكْ قَدَميْكَ العاجِزَتَيْن،

وافْرِدْ ذِراعَيْكَ المقيَّدَتَيْن بِسلاسِلِ الضَّعْفِ،

ازْحَفْ بِبَطْنِكَ

حتَّى تَجِدَ المياهَ وتَعتادَ السِّباحَةَ

لِتَصِلَ إلى سَفينَةٍ ومَيناء.

وإيَّاكَ.. إيَّاكَ من الاستسلامِ

لمصير قِطعَةِ جُبْنٍ مَسمومَةٍ،

ومَصيَدَةٍ لا تزالُ هُناكَ

في رُكنٍ ما من سُكناهُم،

لو استطعتَ أَنْ تُدمِّرَ عَرباتِهم الفاخِرَةَ،

وتِلكَ الشَّاليهاتِ الَّتي يَتباهون بها

وهُم يَستَعرِضون مَعرِفَةَ القِراءَةِ،

والكُتُبِ، وفُنونِ التَّحنيطِ؛

فَلْتَفْعَلْ.

هُم مُدَّعون سَفَلَة،

وأَنتَ فَأرٌ حَكيمٌ وذو قَلبٍ يَنْبضُ،

ولا يُرادُ من الشَّاةِ بَعدَ الذَّبحِ

إلَّا سَلْخُ الفِراءِ

كما قال أَسلافُكَ الفئران المعَذَّبون البَعيدون،

النَّائِمون تحتَ التُّراب،

وأَقصى أَمانيهم

أن تَفعَلَها،

وتُطلِقَ للكَراهِيَةِ العَنان؛

حتَّى لا تَظَلَّ مُهدَّدًا

في جُحرٍ أسفل نافِذَةِ سِجْن.



(17)

عُمرٌ طَويلٌ مَضى،

ولا تَزالُ قَدماكَ وَاهِنَتَيْن؛

بِضمِّهما مَعًا للأمام أو الخلف،

أو بأيِّ طَريقَةٍ بهلوانِيَّةٍ

تَقتَرِحُها لَكَ المصادَفاتُ..

من أَجلِ فِعْلِ القيامِ

بِوَثبَةٍ مُفاجئَةٍ للخارج.

تَرجَّلْ، وامْشِ..

انْظُرْ لتلك البِنايات

التي ينطلق منها مَجْدُ أَسلافِكَ،

وروائِحُ أَطْعِمَتِهِم وأَفراحُ أُمسياتِهِم

حَولَ شُعلَةِ النَّار

لِصُنْعِ كوبٍ من الشَّاي،

وتَحضيرِ الذُّرَة المشويَّة.

انْتَبِهْ لحاضِرِكَ؛ لِتُدْرِكَ ماضِيَكَ،

وتَدفَعَ بالَّذي فاتَكَ

إلى عَربَةِ الوَحلِ

لِتَصِلَ سالِمًا إلى النَّقاءِ الملَطَّخ بالآمال.

كُفَّ يا فأري العَزيز

عن التَّرقُّب بعينَيْكَ؛

فلم تَكُنْ يومًا حُفرَتُك،

وأَكوامُ الأَتربَةِ الشَّبيهةُ بالأَسوارِ

عاكِسَةً للجَمالِ بِداخِلكَ

إلَّا بالبُذور؛

تلك البُذورِ

التي تعود بها من رحلَتِكَ اليوميَّة..

كأنْ تَقِفَ أمامَ مُتشرِّدٍ

يصرخُ مُخاطِبًا الهواءَ،

وتُخمِّنَ مع مَن يَتكلَّمُ،

ما الَّذي ضَربَ التَّعقُّلَ،

وأَخْرَجَه من مَكْمَنِه،

وتَرَكَه بلا حَولٍ وبلا قُوَّة؟

أيُّ لُغَةٍ هذه

التي حَوَّلَته إلى مُجرَّد نابحٍ

في وجهِ الظَّلام؟

الظَّلام يا عزيزي الفأر..

ظِلُّكَ الذي يُرافِقُكَ

من حُفرَةٍ إلى حُفرَة.

هل أَنتَ مُطارَدٌ

وتَخافُ قَوْلَ الحقيقةِ كامِلَةً؟

اعْتَرِفْ؛

فَما أَنتَ إلَّا إلى زَوالٍ!

وقد تَصِلُ إلى نَفْسِ مَحطَّةِ الجنونِ

على نَفْسِ الرَّصيفِ المجاوِرِ

لمقام السَّيِّدة المقدَّسَة

ويقذفونك الصِّبيَةُ بالحجارَة والأَوراقِ

مُعتَقِدين أنَّكَ فَقدتَ القُدرةَ

على تَلقِّي الإهانَةِ..

الإهانَةِ يا عزيزي الفأر...

تِلكَ البِركَة الرَّاكِدَة

ذات القاذوراتِ الَّتي عَطَّلَتكَ لسنواتٍ

وسنواتٍ وسنوات...

ولا تزالُ نَجاتُكَ مُرتَبِطَةً

أن تُمسِكَها من عُنُقِها الهَشِّ،

وتُطوِّحَها،

ثم يَكون استقرارُها الأَبَديُّ

تحتَ كَعبِ حِذائِكَ

كَأيِ فأرٍ شُجاعٍ،

وابنٍ مُخلِصٍ لِشَرَفِ الانْتِقامِ،

ثمَّ تَمضي للالتحاقِ بِمَوكِبِ الشُّجعان.

(18)

أنتَ أنتَ، أَنتُما، أَنتُم أَنتُنَّ..

منذُ ليلتَيْن ونِصْفِ اللَّيلَة،

وهذه الضَّمائِرُ الَّتي لِمُخاطَبٍ

تَدورُ حَولي مثلَ حَشرَةٍ

لم أَرَها بِأُمِّ عَينيَّ من قَبْلُ

فِي تلك الحُفرَةِ التُّرابِيَّةِ حيث أُقيم،
أو فِي الخارجِ بَينما أتَسكَّعُ لالتقاطِ الزَّمَن.

تدورُ هذه الضَّمائِرُ

الَّتي لِمُخاطَبٍ من المطبَخِ
إلى الصَّالَة، ومن الصَّالَةِ إلى العَتَبَة.
أيُّ تَراكُمٍ غيرَ مُجْدٍ لمؤشِّرات:
«كم السَّاعَةُ؟»،

و«هل اليوم هو أربعاء أم خميس؟»...
لا يَعدو مَرئِيًّا.
التَّخفِّي وراءَ الجُدرانِ صار بُطولَةً،
عاش جيِّدًا مَن اختبأَ جَيِّدًا..
بل وراءَ تلك الأَغراضِ
البسيطَةِ التي أَحمِلُها بين أسناني

وأَعودُ بها لِتَمْضِيَةِ مَساءاتي

بينَ قَضْمَةٍ من عَجينٍ وكُوبٍ من الشَّاي..

وفنجانٍ من البراندي الردئ المُحَلَّى بِروائِحِ التَّمنِّي

المباشِر..

وثَمَّةَ قَصيدةٌ بإيقاع ثابت لإيليا أبي ماضي

عن فَأرٍ يُدعَى «هِنَرِي»،

بِوُدِّي أَنْ أَضَعَني —أَنا،

وَعالَمِي، وأَغْراضي– بين دِفَّتَيْها؛

لأُخَطِّطَ لجِعْلِ المصادَفاتِ تَقودُني

إلى سَكْبِ العِصِيِّ في المتاح،

والمتاحِ في المستحيل..

وبهذا أمتَلِكُ كوكتيلًا من السِّحر،

أَدفَعُ به عَجلةَ مُخيِّلَتي إلى أَطرافِ قارَّاتٍ نائِيَةٍ،

آخِذًا من إيليا بؤسَه كشاعِرٍ

لم يُصدِّقْ يومًا كَوْنَه فأرًا

مُعدًّا لهنري الألفاظَ، الجُمَلَ، الفَقَراتِ...

كَوليمَةٍ لَيليَّةٍ

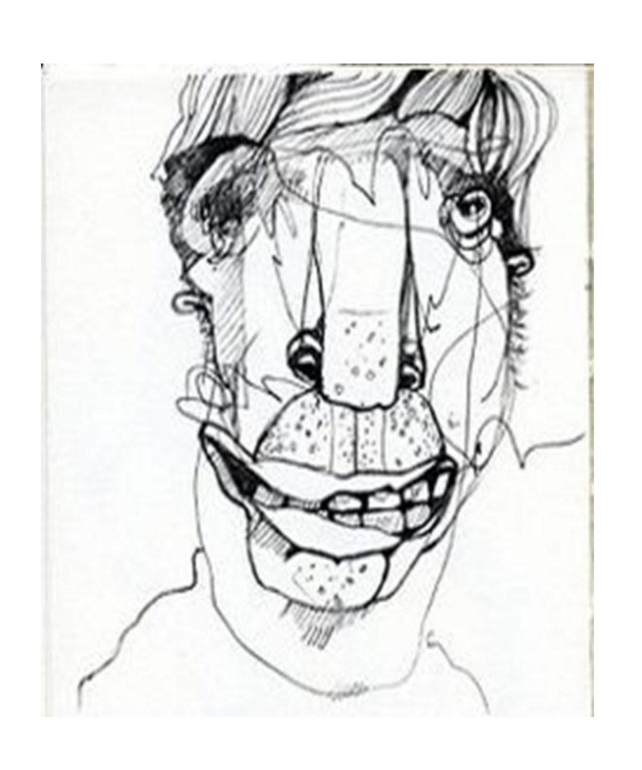
للتَّحَرُّر من سِجن البلاغَةِ؛

ليقولَ الحقيقةَ كامِلَةً،

بلا أَيِّ مكياجٍ لُغويٍّ..

فَلْيَسْقُطْ ما هو مُستعارٌ من أَصواتٍ

تَنوبُ عنِّي..



(19)

لديَّ رغبةٌ عارِمةٌ

أن أكون فأرا سافِلًا..

أَنْ تَنتهي كُلِّيَّةً تِلكَ الرِّقَّةُ

الَّتي أَدَّعيها بين ضُلوعي؛

أنْ أَخرُجَ من طَوْرِ الفَأرِ،

وأصيرَ صرصارًا حَقيرًا مُبْتَذَلًا،
يَشغَلُني فَقَط شَيئَيْن:

أَنْ آكُلَ وأَسْكَرَ، وأَلْتَقِطَ أُنْثايَ
من على قارِعَةِ الطَّريق...
أختارَ زاويَةً مُناسِبَةً للمَخاطِرِ،

وأَتَشمَّمَ العابِراتِ،
أو أَذْهَبَ إلى كافتيريا محطَّةِ سِكَكِ حديد مصر؛
ربَّما أَجِدُ ضالَّتي جالِسَةً

في ذلك الرُّكنِ المواجِهِ للتِّلفازِ،
ومُباراةُ تِنِس رباعيَّةٌ تُذاعُ على الهواءِ مُباشَرَة..
وبمجرَّد الوصولِ إلى مقعَدي
أَمسحُ بِعينيَّ الواهِنَتَيْن الصَّالَةَ لأطمَئِنَّ
ألَّا أَحدَ مُنْتَبِهًا

لريشَةِ كَراهيةِ الذَّات التي تُرَفْرِفُ

فوقَ رأسي كَصُرصارٍ

إعلانًا عن ميلادي البَيولوجيِّ الجديد الذي صِرْتُه.

فبِمُغادَرَةِ الوَلَهِ بآخَرَ

نُسِخَ بالضَّربِ فوقَ أزرارِ الكيبورد؛

حتَّى صارَت يَداكَ يَدَيْه،

وعَيناكَ عَينَيْه،

وقَدماكَ قَدمَيْه...

ما عليكَ إلَّا وأنتَ تَتخلَّصُ منه

أن تكونَ مُدرِكًا بِوعيٍ كاملٍ

أنَّك أيضًا تَقتلُ التَّطابُقَ بَينَكما

وأَنتما نائِمان في غُرفَتَيْن تَفْصِلُهُما

الآلافُ والآلافُ من الكيلومترات..

انْتَهِ بِسُرعَةٍ

من تلك الموجاتِ العاطِفيَّةِ،

وانْتَبِهْ لِتنفيذِ جَريمَتِكَ؛

لتستيقِظَ في سرير الحُبِّ

بِرفقَةِ تلك التي جاءت بِكَ المصادفاتُ

إلى جُحرِها..

كُنْ ريبوتًا،

وانْزِعْ بلوزَتَها بدون ارتجالِ كلماتِ غَزَلٍ،

ولا تَكُنْ خائِنًا لِنفسكَ

لدرجة أن تُرَدِّدَ على مَسامِعها

نفسَ العبارات

التي ظَلَّت لسنواتٍ حَبيسةَ التَّنميقِ وإعادَةِ الصِّياغَة

من أجل نُسخَةِ الفأرةِ التي أَدْمَتْكَ..

ولِنسيانِها المؤجَّلِ

اخترتَ أن تَرْكُلَ كلَّ هذا العَذابِ،

وتُعلِنَ أنَّكَ صرصارٌ مُستقلٌّ،

يرغَبُ في مُضاجَعةِ العابِراتِ البائِساتِ الميِّتاتِ،

مثلكَ تمامًا؛

لغيابِ الحُبِّ.

(20)

عُدْتُ للتَّوِّ يا إخوتي اللَّيليِّين،

بعد الانتهاءِ من جَولَتي،

وها أنا ذا أُخْبِرُكُم

بكلِّ صراحَةٍ

عن فشلي في طَرْدِ الرِّقَّةِ من بين ضلوعي.

اصطحبتُ صيدي

من كافتيريا محطَّةِ سِكَكِ حديد مصر

وأنا في ميلادي البيولوجيِّ الجديد..

كانَت صورةُ المرأة جميلةً جدًّا،

وواضِحةً تمامًا أمامَ عينيَّ،

وتفاصيلُ المشهَدِ

مُطابِقَةً للواقِعِ دونَ أَيَّة تحريفاتٍ؛

وهذه دلالَةٌ دامِغَةٌ بالنِّسبة لي

أنَّ قلبي لا يزالُ فارِغًا..

فلم يَكُن بإمكان مُداعباتِنا الكَلاميَّةِ

ونحن في طريقنا للتَّحقُّقِ الجَسديِّ
أن تضربَ حَجرًا في بِرْكَةِ عاطفتي الرَّاكِدَة
من أجل فَأرةٍ أُخرى أَقلَّ جَمالًا منها،

ولكنَّني أُجَنُّ بِذكراها،
ومُتعلِّقٌ كالأَطفالِ بها.

في الحقيقةِ بَذَلَت المرأةُ الصَيدُ

كُلَّ طَاقَتِها لأَنْدَمِجَ..
وحَدَّثَتني عن رَغبَتِها أن تكونَ كاتبةً،
بل وتمادَت

وقَرأت عليَّ قصيدةَ «أَيَظُنُّ» لنزار قَبَّاني..
بمجرَّدِ وصولِنا لِذلِكَ البابِ المؤدِّي لسريرِ الحُبِّ
في بيتها الواسِع الكبير،
الَّذي يبدو مكتومًا

من رائحةِ الدَّمِ التي عَلِقَت بأنفي،
ولم تَتوقَّفْ عيناي عن التَّلَفُّتِ

في أنحاء الغُرفَةِ بحثًا عن قتلاها.

دَخَلَت هي أَوَّلًا من الباب،

الذي صُنِعَ في مَدينةِ دمياط
وتَبِعْتُها بحذاءٍ صيفيٍّ خفيفٍ

اشتريتُه من الحَيِّ التجاريِّ بالمدينَةِ القديمة،
اندَثَرَت اللحظاتُ التَّالِيَةُ في خلوَتِنا،

واختفى شَغَفي،
وأصابَتني حالٌ من الضَّحكِ الهستيريِّ؛
فَقَدْ صارَ وَجهُها

بِنَفسِ مَلامِحِ امرأتي البعيدَةِ...
أَيُّ سِحْرٍ هذا الَّذي يُلاحِقُني!

خارَت قُوايَ،

وجَلستُ على أرضيَّةِ الباركيه،

وتَعجَّبَت المرأةُ الصَّيدُ
وهي تتَهيَّأُ للقَنْصِ والطَّعْنِ والقُبلاتِ،
ثمَّ بدأَت الدُّموعُ تَلِي الضَّحكاتِ،
والضَّحِكاتُ يَليها الحُزنُ،
والحزنُ تَليه مُناداتُها

باسْمِ الفأرة "نانسي" الَّتي أُحاوِلُ دَفْنَها حَيَّةً بين ضلوعي...
عادَت المرأةُ الصَّيدُ من غِيِّها،

وارْتَدَّت لِما ضاع منها من حُبٍّ قَديمٍ،

ولِقَتْلاها الَّذين التقَطَتهُم أَنْفي،

وصارَت مِثلَ أُختي الكُبرى؛

فاقتَرَبَت، وأَمْسَكَت بِرأسي،

وهَزَّتها بِعُنْفٍ،

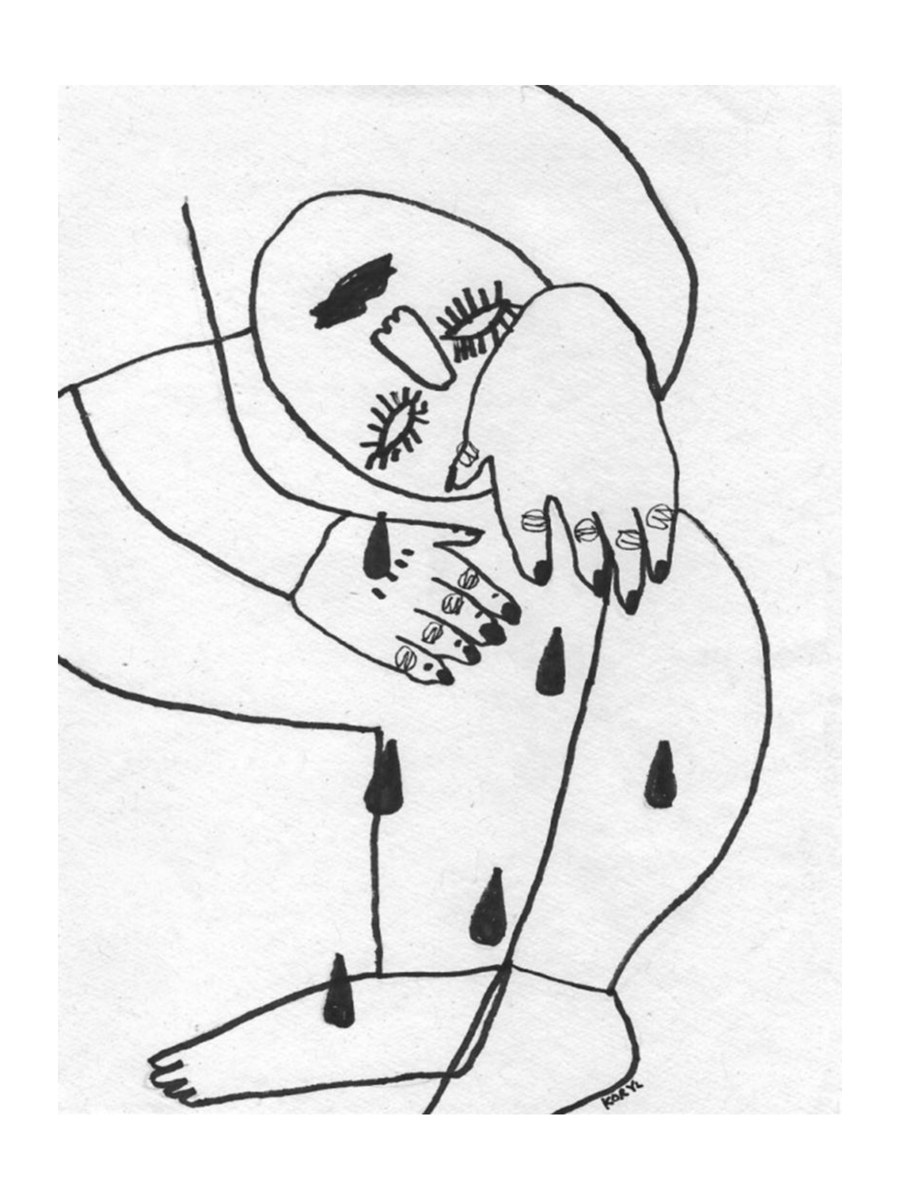
ثُمَّ صَرَخَت لأُغادِرَ شُرودي:

«أَيُّ ابتلاءٍ هذا في نعيمِ الحُبِّ الَّذي يُلاحِقُ

صَغيري!»...

القِسمُ الثَّاني:

في مَعْنَى الذُّبول



رِسالَتَا حُبٍّ، وَرَدٌّ...

الرِّسالَةُ الأُولَى

تَوقَّفتُ عن الكِتابَةِ مُنذُ فَترَةٍ،

تَذكَّرتُ الآنَ

أَنَّني لم أُدوِّنْ أَيَّ حَرفٍ

عن يَوميَّاتي العَزيزَةِ وتَفاهاتي الخالِدَة.

فأرتي

بَعدَ «مَرحبًا»، و«أهلًا وسَهْلًا»، و«إزَّيّك»..

بودِّي إشراكُكِ في حَيْرَتي..

حائِرٌ أنا يا فأرتي العزيزة

كَيفَ لِكِلَيْنا الوجودُ في خَمسَةِ كُتُبٍ قَصيرَةٍ

بين دِفَّتَيْ مُجلَّدٍ واحِدٍ

أَقصِدُ كِلَيْنا، وما بِداخِلنا من أحد عشر صَوتًا

على طَريقة ما قيلَ لِلنَّبيِّ يعقوب على لِسانِ ابنِه،

أو عَدَدِ لاعِبي السَّاحِرَةِ المستَديرَةِ

وللتَّصويبِ: هي خَمْسَةُ دفاتِرَ بين دِفَّتَيْ كتابٍ

أَتحرَّكُ بين سُطورِها أنا وأنتِ وأَصواتُنا.

هل تَعرفينَ أنَّني حاوَلتُ الكتابَةَ بالقَلَمِ والوَرَقَةِ لِشهورٍ،

وفَشلتُ في إنقاذِ نَفسي

من الإِحساسِ المريرِ بالابْتِذالِ

من عدَمِ القُدرَةِ عَلى شِراءِ «آيباد» جديدٍ،

ماركة «آبِل»؛

فَكَما تَعرِفين:

إنَّني أُحبُّ التُّفَّاحَةَ الفضِّيَّةَ؛

فما هِي إلَّا أَنتِ

في فيلم «her»...

الرِّسالَةُ الثَّانِيَةُ

قصيدَةٌ واحِدَةٌ، وتَفاسِيرُ عَديدَةٌ

(I) القَصيدَة

هَل لي أَنْ أَستَعيرَ لِسانَكِ
بِتلك الفَصاحَةِ الَّتي لِكاتبةٍ من تَيَّار ٩٠
جاءَت بالغَلَطِ وصافَحَتني
في أُمسيَةٍ بَين جُدرانِ مَكتبَةٍ عامَّة
باعتباري مَلِكًا للتَّأتَأَةِ والخُطوطِ الرَّديئَةِ

أَصدُقُكِ القَوْلَ
هي مُصادَفاتٍ
ابْنَةُ مُصادَفاتٍ
لَيسَت إلَّا أنتِ بِشَحْمِكِ ولَحْمِكِ الطَّرِيِّ

بين كَومَةٍ من الكُتُبِ
ولا يزال عالِقًا بأَغْلِفَتِها رَحيقُ المطابِعِ
لِأَصِلَ إلى لحْنِ إعادَةِ تَأليفِكِ

كَوَهمٍ جَميلٍ
سَتُرافِقينني في ما تبقَّى من تِلكَ اللَّيلَةِ
دون أَنْ أَلمسَكِ أو أَشُمَّكِ
أو حتَّى أَميلَ بِجِذعي
فَوقَ رُكبَتَيْك القَذِرَتَيْن اللَّتَيْن لِتَمثالٍ

دَعْكِ من كُلِّ هَذه الأُمنياتِ الخائِبَةِ؛
فَقَد حانَت الفُرصَةُ
أيَّتُها الفأرةُ الحَبيبةُ
بِمجرَّد أَن تَضرِبَ مُعجِزَةٌ تَحتَ قَدَميْك
وتَصيرين عَجينَةً لِرَغيفِ خُبزٍ
أَلْتَهِمُه دَفعَةً واحِدَةً في لَحظَةِ المغادَرَة
مِن مَدينَةٍ إلى أُخرى

لَيس لأنَّكِ أَجملُ نِساءِ الأَرضِ
ولا أَكثَرهنَّ رِقَّةً كما تَتخيَّلين
وعَيناكِ ساهِمتانِ باتِّجاه قَبيلَةٍ من اليَتَامى
في حُزنٍ غامِضٍ وغَريبٍ
وهما تَطَّلعان عَليَّ،
بل في الحَقيقَةِ
لأنَّني وَصَلتُ بالقُربِ مِنكِ مُفلِسًا
ولا أَمتلِكُ سِوى أَرصدَةٍ من القُبحِ
وبِفَضلِ مِياهِكِ الطَّيِّبَةِ
والانتظارِ الطَّويلِ
أَمامَ طَاولَتِكِ وشَعبٍ من الفئران المجانين؛
اغْتَسلتُ، وصِرتُ طاهِرًا مثل مَجرًى لِنَهرٍ
وأَحلمُ كُلَّ لَيلةٍ بِخَسارَةٍ جَديدَةٍ
والتَّفَرُّغ لِنسيانِ ما كُنتُ عليه
لأَعودَ في الخمسين شابًّا يائِسًا ومُتدفِّقًا
بلا عَمَلٍ، وبلا رَفيقَةٍ صَلعاءَ،

وأُفكِّرُ مثل قارئٍ كَسولٍ:
كَيفَ ومَتى أُصبِحُ سعيدًا ومُبتَهِجًا بِحالي،
وألَّا أُصلِحَ شيئًا من أَخطائي
بالاستمرارِ دونَكِ
يا فأرتي
في مُواصَلَةِ العَيْشِ وَحيدًا،
وبلا أَيِّ مُحاوَلَةِ لجُوءٍ
لِلبَحْثِ عن مَخْرَجٍ؟

الضَّجَرُ.. الضَّجَرُ.. الضَّجَر...
هل تَعرفينَه؟
الضَّجَر.. الضَّجر.. الضَّجر:
أنْ أَظَلَّ واقِفًا أمامَ ذِكراكِ
وكِلانا يَلعَبُ بِمَصيرِ الآخَرِ
وَتقليصِ مَساحَةِ وجودِه
في غُرفَةِ مَعيشَةٍ على أَطرافِ بلدان نائِيَةٍ.

(II) التفاسير

- رقم ١

انتَهيتُ الآنَ
من تدخينِ سيجارَةِ الصَّباح
والنَّظَرِ إلى الشَّارع
عبرَ بابِ شَقَّةِ الطَّابَقِ الثَّالِث.

- رقم ٢

هل تَعلَمين أنَّكِ تَخطُرين ببالي
في سَوادِ اللَّيلِ
مثلَ حُلمٍ مُؤجَّلٍ
أَودُّ أن يَمُرَّ وقتُ انْتِظارِهِ
ها أنا ذا يا فأرتي
على الطَّرفِ الآخَرِ من مِقعَدِ المشاهِدين،
وقد خَسرتُ رِهاني كامِلًا
ووعودي لِنَفسي
أن تَكوني خارِجَ مُخيِّلَتي بِرَكلَةٍ واحِدَةٍ
لماذا تُطاردينَني هَكذا
بالرَّغمِ من يَقيني
أَنَّكِ نائِمَةٌ الآنَ،
وصَوتُ شَخيرِكِ
يَعلو ويعلو ويعلو
وتُفكِّرين فيَّ بِدماغٍ بارِدَةٍ

لم تَلمَسْ نَوافِذُها العالِيَةُ

قَدمايَ الشَّريفتانِ

ها أنا ذا

أَنقضُّ عَلَيكِ

مِثلَ بائِعٍ مُتجوِّلٍ لجَرائِدِ المساءِ

وأَنتِ مُجرَّدُ مُثيرَةٍ عابِرَةٍ

في جِلبابٍ بَيتيٍّ

ولا أَتردَّدُ في رَشقِ قَفاكِ

بورودٍ بَيضاءَ

حَتَّى تَستَسلِمي

لاحتِضاني جالِسَةً بجانِبِ تلكَ النَّافورَةِ

الَّتي لا تَعمَلُ مُطلَقًا

ليلَ نَهارَ

لِتُمارسي –ولو لمرَّةٍ بِرُفقَتي–

تَبادُلَ الأَدوارِ:

أن أَكونَ امْرأتَكِ،

وأَنتِ رَجُلي السَّافِلُ الغَشيمُ،
وكِلانا يُنادي أَخاه
يَقِظًا، وبِلا رَغبَةٍ في أيِّ فِعلٍ...
إنَّه مُجَرَّدُ حُلمٍ لا يُباعُ ولا يُشتَرى،
مُجرَّد حُلمٍ
يُقال بِكلِّ فَخرٍ واعتزازٍ
في مَدينَةِ الأَوهامِ.

– رقم ٣

مُنذُ مَساءِ أَمس

وأَنتِ لا تَعرفين شيئًا عنِّي

لِدَرجَةِ أنَّ حبالَ الأَرَقِ

في تَحوُّلها المنتَظَرِ

بعدَ انتهاءِ اللَّيلِ

إلى لحظَةِ إشراقٍ

سَتمضي بِكِ إلى مُحاوَلَةٍ فاشِلَةٍ

لاخْتِلاقِ هَدفٍ صَغير

هدفٍ صَغيرٍ لِتَمضِيَةِ الوَقْتِ

حتَّى تَهربَ فِكرةُ السُّؤالِ عَمَّا أَلَمَّ بي

وسِرِّ اختفائي من أَمامِ نَاظِرَيْكِ..

هل هُناكَ ميثاقٌ في عالَمِ الكُتُبِ

التي أَكَلَت رَأسَكِ

أَن تَهتَمَّ فأرةٌ عَديدَةٌ وصاحِبَةُ خَيالٍ واسِعٍ

بِنُسخَةٍ واحِدَةٍ من رَجُلِها الحَبيبِ؟

كَم أَنتِ غَبيَّةٌ
لَمَ تُجرِّبْ في عالَمِ الرِّجالِ الفئران الَّذين يُحبُّونها
سوى الخَسارةِ.
أَصدُقُكِ القَولَ:
الرِّجالُ الفئران الَّذين يُحبُّونها
بِحَجمِ الأَرضِ والسَّماءِ
ولَهُم جميعًا نَفسُ مَلامِحِ وَجهي
بِصُداعٍ خَفيفٍ
وانهِماكٍ مُبالَغٍ فيه بالتَّلَصُّصِ عَليكِ
من حفرة مَقهاهُم المسمَّى «تشي چيفارا»...

- رقم ٤

بالأمسِ حَلمتُ بِكِ
هُناكَ، بين جدرانِ قَريةٍ
حيثُ النَّومُ شَبيهٌ بالأَرَق،
والأَرَقُ شَبيهٌ بِتلك الرَّائِحَة الكَريهَةِ
للمُستَشفياتِ العامَّةِ ومُبيداتِ القوارض.
كنتِ في زِيٍّ أَنيقٍ،
واختَفى الصَّلَعُ الجَميلُ من مُقدِّمَة رأسِكِ،
وكُنتُ في وَقتِ الحُلمِ
أَجهَلُ اسْمَكِ ولا أَعرِفُ مَن أَنتِ،
بالرَّغمِ من قُدرَتي على المقارَبَةِ
بين صورَتَيْن تَخُصَّانكِ:
واحِدة في ذاكِرَة المستيقِظِ،
وأخرى تتشكَّل بِبُطءٍ في ذاكِرَةِ النَّائِم.
آهٍ.. نَسيتُ كالعادَةِ

أَن أُخبِرَكِ بِمقدِّمة الأحداث:
كأنَّكِ عالِمَةٌ بِبواطِن الأُمور،
نَحنُ على شاطِئِ البَحرِ
أنا وأنتِ،
والذَّاهِبون لمراقَبَة الذُّبول في أصواتِ الشَّعراء الفئران،
التِّيهُ والغَضَبُ يُلقِيان بي
إلى مَكانٍ مُغلَقٍ،
وكما تَعرفين عن طَبيعَةِ الأَحلامِ:
بِإمكانِ أَيِّ إنسانٍ عاقِلٍ رَشيدٍ
أَن يَسهوَ وهي تُولَدُ
كَأنَّ كُراتٍ من الثَّلجِ غَطَّت الأَرضَ،
وصارَ البَشَرُ من حَولِه صامِتِين،
ولا يَعرِفون كيفَ ومَتَى
يَقولون كلمَةً لِطَمأَنَةِ بَعضِهِم.

- رقم ٥

ما لا يُكتَبُ لا يوجَدُ أبدًا..
قالَت السيِّدةُ الحكيمَةُ العَجوزُ
نوال السعداوي.
هل تَعرفين أنَّ مُجرَّد جُملَةٍ عابِرَةٍ
تُقالُ بالصُّدفَةِ
وفي تلك اللَّحظاتِ التَّافِهَة
تُعَدُّ واحِدَةً من قائِمَةِ أَوهامي
الَّتي أَحلُمُ باقترابِ مَحوِها من ضَعفِ التَّمنِّي
إلى قُوَّةِ الوجودِ.
بَدأتُ حَفلةَ التَّفَلسُفِ على ذِكراكِ الطَّيِّبةِ
النَّائِمَةِ بالقُربِ من دفترِ يَوميَّاتي
بمجرَّد النَّقرِ على أَزرارِ الكيبورد؛
يُخيَّل لي أَنَّني نَجوتُ بِفَضلِ نَجمَةٍ مُضيئَةٍ
هي أنتِ في سماءِ القاهِرَة
والعالَم أَسفلَ نافِذَةِ غُرفَةٍ مُستَأجَرَةٍ

مجرَّدُ بيتِ دَعارةٍ إِلكترونيٍّ
ولا أُردِّدُ بداخِلِه
سِوى ذَلك النِّداءِ الغاشِمِ الحزينِ:
أهلًا يا حُبُّ...



- رقم ٦

سَبعة شُهورٍ، وخَمسةُ أيَّام، واثنتا عَشرةَ دقيقة...
مرَّت كالدَّهر وأنا أنتظِرُ
لالتقاطِكِ مِثلَ أيِّ عدَّة تليفون ماركة «آبِل»
والذَّهابِ بِرُفقَتي إلى جحر بغُرفة فُندُقِ
أنتِ شيئي الثَّمين
وكَنزُ انحِطاطي الَّذي يَبتَلِعُني بداخِله
عندما يَغلِبُني الشَّوقُ وتَظلِّين صامِتَة.

- رقم ٧

أكوامٌ من الألفاظِ البذيئَةِ
تَنطَلِقُ من بين شَفَتيَّ باتِّجاهِكِ
لأكونَ مُجرَّدَ ذَكَرٍ تافِهٍ
ليسَ بإمكانِه أيُّ أَمَلٍ في الغَدِ القَريب
لإدارَةِ صِراعٍ بين رُوحٍ وفأرة مُلهِمَةٍ
في هَيئَةِ قَلبٍ فِضِّيٍّ
آلو.. هل تَسمَعينني
فَلْتَذَهبي للجَحيمِ أَيَّتُها الكاتبةُ الحزينَةُ العَجوز
باسمِ الرُّسُلِ الاثني عَشَر
وباسم تِلكَ الأَكاذيبِ الَّتي صاحَبَتني
في مُضاجَعاتٍ من طَرَفٍ واحِد.

- رقم ٨

هَل يَبدو خِطابي رَكيكًا؟
ولو كانَ كذَلِكَ؛
ضَعي خَطًّا بِقلَم فلوماستر
أَسفلَ العباراتِ
التي تَشِي أنَّني مُتضخِّمُ الوجدان
ومُفلِسٌ
وأَلفاظي بلا عَمَل.
ما الإعجازُ في ما قُلتُ سالِفًا!

لا تَعليقَ...

- رقم ٩

أَصْدُقُكِ القَولَ:

مُنذُ فَترةٍ

بِودِّي اختراعُ نِكاحٍ سَماويٍّ

يأتي المساء

والإلهامُ يُطارِدني

وأُسلِّي نفسي بترتيلِ اسمِكِ

وتَمَنِّي ظُهورِك

وأذهبُ إلى أيِّ زاويَةٍ في كوستا كافيه

وأُعيدُ تَشغيلَ ما جرى

بين حدودِ بَلَدَيْنا

في لُغَةٍ مُشترَكَةٍ

فلم أَشكَّ مُطلَقًا

أنَّكِ والقَصيدَة شَقيقتاي النائِمَتان

بين غيومِ مُخيِّلَتي

كم أنا رديءٌ

ومُحطَّمٌ

وبلا تَجربَةٍ من لحمٍ ودَمٍ

أيَّتُها التُّفَّاحة الفضِّيَّة:

ماذا تَقترحين عليَّ؟

أُفكِّرُ مَليًّا في «شيفت ديليت»!

وكم من مرَّةٍ تراجَعتُ.

- شيفت ديليت: اسم ديوان للينا الطيبي.



- رقم ١٠

مُهدَّدٌ بالزَّوالِ ذلك الانتِظارُ

وتلك الافتتاحياتُ النَّاجِمَةُ

عن مُلاقاةِ ضِدَّيْن لبعضِهما بعضًا

أنا وأنتِ

في مَدينَةِ الصَّحو

حيث تُهيمِنُ على الطَّبيعَةِ

أَفعالٌ ومُصادفاتٌ

وقِصَصٌ قَصيرةٌ جِدًّا

ارتَجَلَ أَحَدُنا نَغمةً بِحجمِ مِنضَدَةٍ

وارتضى الآخَرُ أَنْ يَظلَّ صامِتًا

انْدفَعَت جموعٌ بَشريَّةٌ

من عَرَبَةِ قِطارِ الأريافِ أمامَ ناظِرَينا

جُموعٌ بَشريَّةٌ برؤوسِ فِئران حَيْرَى

من أَجلِ التِقاطِ قِطعَةِ جُبْنٍ مَسمومَةٍ

مُلقاةٍ في مَصيَدَةٍ...
هَكَذا، والعالَمُ من حَولِنا يَتبدَّلُ،
نَحتَقِرُ الوُجودَ الضَّئيلَ
في كافتيريا المحطَّة
هل عَجَلَةُ الزَّمَنِ يُعاد تَشغيلُها
من أوَّل وجَديد
بغريزَةٍ السُّخرية
لِنرى الجَمالَ النَّاقِصَ.

رَدٌ..

تَعرِفُ عزيزي

ما هو الأورجازم،

وحتَّى لا تَضيعَ دِماغُكَ

في مَسيرَةِ الأَصوات الإيروتكيَّةِ

التي تُشوِّش على حُبِّك لي

أيُّها الفأرُ القَذِر؛

اسمعْ مني شيئًا جديدًا

لم تَسمَعْه وأَنتَ جالِسٌ

مع بائِعاتِ الهوَى الحسناواتِ

في غُرفَةٍ أو حَديقَةٍ أو بيتِ دَعارَةٍ إلكترونيٍّ...

لم تَكُن بالنِّسبَةِ لي سِوى كائِنٍ مُسلٍّ

أَشعرُ بِرُفقَتِه أَنَّ الزَّمَنَ خفيف

ولَيسَ ذا وَطءٍ ثقيلٍ.

مُنذُ وُلِدتُ جَبَّارَةً،
وأَقودُ مَجموعَةً من الفئران الطائرة،
كما تَقولُ عنِّي،
ويُؤلِمُني مُرورُ الزَّمَن..
يُؤلِمُني لِدَرَجةِ أنَّ الصُّداعَ
يُوشِكُ أَنْ يَطفو من رأسي
ويُفتِّتَ صُخورَ العالَمِ، وأَظَلُّ تائِهَةً،
ولا تُراوِدُني المتعَةُ والرِّضا.
وجِئتَ أنتَ يا خرا الفنَّان،
وهَيْمَنتَ على هذا الصُّداعِ بِتصَرُّفٍ بسيطٍ،
وهو إجادَةُ تَسلِيَتي.

كَمْ أُحِبُّ يا خرا الفنَّان الحياةَ
من زاويَةٍ تافِهَةٍ مِثل هذِه.
أحسُّ أطولَ وَقتٍ مُمكِنٍ
أنَّني سَجينَةُ جَسَدي،
وبِودِّي إطلاقُه

لأراه ذا جَناحَيْن
ويُرفرِف بِصُحبَة رفاق
تراهم في حُضوري.

كم أنتَ بطيءٌ ولا تَتقدَّم
باتِّجاهِ تِلكَ الوَليمَةِ
الَّتي أُعدُّها لَكَ
لِتمكُثَ ولا تَمَلَّ
من أُمنيَةِ وجودي
ليلَ نَهارَ بِرفقَتِكَ،
وتَحتَ سَقفٍ واحِدٍ.

هذه هي «النيرڤانا»
التي حَصلتُ عليها منكَ
مُدَّةَ عَلاقَتِنا المتخيَّلَةِ
الَّتي تَودَّدتَ إليَّ
ثُمَّ هَربتَ من أمامي

لِتنجوَ من أيِّ التزامٍ باتِّجاهِ آخر.

هل هَذه هي الحياةُ بالنِّسبَةِ لَكَ؟
أَنْ تَظلَّ تَهربُ وتَهرُبُ وتَهربُ مِنِّي
في مواسِيرِ الصَّرفِ الصِّحِّيِّ اللَّعينَةِ
كَقِطعَةِ جُبنٍ لم آكُلْها بالكامِلِ،
وهي تَنْجَرِفُ وَسطَ بُرازِ قَريَةٍ نائِيَةٍ،
ومَدينَةٍ صَغيرَةٍ،
ولَن أَستطيعَ سِوى مُلاحَقَتِها سابِحَةً
مثل أيِّ فأرةٍ بدينَةٍ ومِسكينَةٍ،
يَقِلُّ أَمَلُها في القَضْم.
حَبيبي: لَيسَ هُناكَ أَنبَلَ مِنِّي في الوجودِ،
هَل تَعرِفُ أنَّني واثِقَةٌ من ذَلِك؟!


GM

مَديحُ كُرْسِيٍّ مُتَحَرِّكٍ

لا يُقال شيءٌ ذو بال عن فَأْرَتي
في جلسات نَميمَةِ الويك إند،
توصَفُ باختصارٍ يُفضِي عادَةً إلى باطِلٍ
على أَلسِنَةِ رفيقاتها؛
بأنَّها مُجرَّدُ فَأْرَةٍ بدينَةٍ
تَعطَّلَت ساقاها عن العَمَلِ بلا مُقدِّمات.
ساقاها اللَّتان فَتَنَتا مُراهِقي التِّسعينيَّات،
وجَلَبَتا إلى مُخيِّلَتِهم فَأْرَتي عارِيَةً في الفِراش...
كَم مِن وَغدٍ مِنهم
حَلُمَ أن يُقطِّعَهُما بِسكِّين تَقشيرِ البَصَلِ
الملازِمَةِ لِكُفوفِ أُمِّه وأَخواتِه البائِساتِ
في شُقَقِ الطَّبَقَةِ المتوسِّطَة الشَّبيهَةِ بِعُلبَةِ كبريت..
لِتُرافِقَه ساقا فَأْرَتي الثَّوريَّتان في وَجَباتِ يَومِه المعتادَةِ،
ومِنهُم مَن ادَّعى مُحارَبَةَ الرَّأسماليَّةِ في شَخصِ فَأْرَتي؛

الَّتي لا يُفارِقُها سائِقٌ خُصوصيٌّ وبودي جارد،
كأنَّهما ظِلَّان لِحَرَكتِها من الحَيِ الرَّاقي المجاوِرِ لِحَيٍّ
مُلتصِقٍ به،
وتَسكُنُه تَوليفَةٌ من الفقراء..
كانوا مُجرَّدَ فَوضويِّين لا لزومَ لهم
في حَلقاتِ الطَّامِحين إلى تَغيير العالَمِ بالفَنِّ والكِتابة،
يَهمِسون لِبعضِهم البَعض في مَقهى «تشي چيفارا»،
الَّذي يُلاحِقون بِداخِله طَيفَ هذه المرأَةِ القَعيدَةِ:
أَليسَ عَصيًّا على الأَقدارِ الرَّديئَةِ أَنْ تَنامَ شابَّةٌ باذِخَةُ
الحُسنِ،
وتَستيقظَ عاجِزَةً من دون ارتطامٍ لِسقوطٍ على الأَرضِ،
أو حادِثِ تَصادُمٍ، أو انفجارِ عبوةٍ ناسِفَةٍ بين عَرباتِ
شارِعِ الجراچات،
أو شيءٍ من هذا القَبيل؛
حَيثُ تَجلِسُ فَأْرَتي لِتُدخِّنَ سجائِرَ رفيعةً ولَعوبَة،
ومُطابِقَة لادِّعاءِ الصَّرامَة،
وهي تُخاطِبُ الغُرَباءَ الَّذين أَغوَتهُم عَيناها السَّوداوان

كَطِفلَةٍ حَوَّلَت ضفيرةَ الصِّبا
إلى كَلبِ شَوارِعَ يَنبَحُ
في رَأسٍ مُمتلِئٍ بطائِراتِ الإنقاذِ الهليكوبتر،
والأَسلاكِ الشّائِكَة،
هو ذاتُه رَأسُها الجالِبُ للمعارِفِ الرَّبّانِيَّة
عندما تَصطَدِمُ بها يَداكَ بالخَطَأِ،
فَترى بِعَينَيْكَ حُروبًا لبلدان مُمَزَّقَةٍ
ووميضًا لسجينٍ يَسقي ربَّه خَمرًا.
ها هي صامِدَة وفي كامِلِ زينَتِها
تَضغَطُ بيدَيْها على زِرِّ تَشغيلِ العَجَلَتَيْن
كأنَّها بَطلَةٌ في إعلانٍ مُصوَّرٍ بين إشارَتَيْ مُرورٍ
عن أُغنيَةٍ جَديدَةٍ لعمرو دياب وكاميليا جبران،
وهما غَيرُ مَوجودَيْن سِوى بِصَوتِهِما،
وجالِسان في «اللوكيشن» مِثل أَيِّ عابِرَيْن
يُتابِعان المخرجَةَ نادين لبكي
وهي تُوجِّه فَأَرَتي للانفعال المصاحِبِ للكَلماتِ الثَّوريَّةِ
عن «البِريود» الدّائِمَة، والفُوَطِ الصِّحِّيَة،

في تلك السَّاحَة الصَّغيرة المسَمَّاةِ باسم عمَّار
الشريعي،
«دُمْ.. دُمْ..
دُمْ...» يَقولُ المطرِبُ،
وتَرُدُّ عليه كاميليا بين أحشائي،
وثَمَّةَ مُقدِّمَة موسيقيَّة شَبيهةٌ بالعَويل:
«دُمْ.. دُمْ..
دُمْ... بَينَ أَحشائِي»...

ثَمَّة مَصائِبُ عَصيَّةٌ على الفَهمِ بالنِّسبَةِ لفَأْرَتي،
وهي تتذكَّر قَدَمَيْها الثوريَّتَيْن..
كأنَّها «ماريَّا» ابنة «Nicaragwa»،
الَّتي جَعَلَت من خُطاها إلى تَمثالِ الزَّعيمِ
نهايَةً لِحِقبَةٍ لم تُصدِّق فيها ما يُقالُ عَن غدٍ أَفضلَ.
إنَّها الآنَ تَسحَبُ جَسدَها الشَّبيهَ بِزَهرةِ عَبَّاد الشَّمس
وهو مُعاقٌ،
وبودِّه الوصولُ من فوق كُرسيِّها المتحرِّك

إلى كَنبَةٍ في هَيئَةِ سَريرٍ فاخِرٍ؛
للشُّعورِ بالرَّاحَةِ والاسترخاء
وتَحريكِ عَضلات القَدَمَيْن
في فضاءِ الغُرفَةِ الكَئيبَة.
لَكَم ظَنَّت فَأْرَتي أَنَّها مَيِّتَةٌ،
وللأسف؛ تَجاهَلَتْها الأَعيُنُ المحدِّقَةُ دائمًا،
بينما تمرُّ من رصيفٍ إلى حديقةٍ مَكشوفَةٍ،
كتِلكَ المجاوِرَةِ لتمثالِ سعد زغلول ودار
الأوبرا الجديدة،
بإمكانِها أَن تَشربَ في واحِدٍ من مَقاهيها أو كافيهاتِها
المودِرن
كوبًا من الشَّاي بالحَليبِ وسيجارَةٍ مَاركة «دا ڤي
دوڤ»،
ثم تُنصِتُ لمغنِّي الرَّاي رشيد طه
في سمَّاعَتَيْ الهيدفون كعادَتِها
وهِيَ ساكِنَةٌ مثل نُقطَةٍ في آخِرِ السَّطرِ
بَينَ النَّاسِ الَّذين لا يَكُفُّون عن التَّحرُّكِ..

يمينًا ويسارًا.. خَلفَها وأمامَها

بَرَّه بَرَّه

مِشْ في الوِدان

بينكم حوارات

– «يا رفيق، إلى أيِّ رابِطَةٍ بَصريَّةٍ تنتمي اليوم؟»...

ها هي فَأْرَتي في الارتِجالِ،

تُستَبدِلُ ما يَهمُّها بما لا يَهمُّها على الإطلاقِ،

تَفتَحُ كِتابَ «مُعذَّبو الشَّاشة»،

وتقرأ مَقالًا لـ «هيتو شتايرل»؛

إمعانًا في إخفاءِ جَوهَرِها

وإضفاءِ طابَعِ البَلاهَةِ على شَخصيَّةٍ فَريدَةٍ

في حاجَةٍ إلى إزميلٍ للحَفْرِ

عن مَدينَةٍ يَتلامَسُ سُكَّانُها من خَلفِ الزُّجاج المنثور..

مَدينةٍ اخْتَرَعَتها فَأْرَتي القَعيدَةُ في مَرحلَةِ الغَيبوبَةِ،

ومُرورِ نِداءٍ حَزينٍ من حَنجرَةِ الله

إلى غُرفَتِها في مُستشفًى استثماريٍّ؛
لِتُبعَثَ من جَديدٍ،
ويَظلَّ العالَمُ بالنِّسبَةِ إليها مَعزولًا
عن شاشَةِ عَينَيْها الضَّيِّقَتَيْن..
كأنَّ تلك الحَوادِثَ السَّيِّئَةَ
الَّتي جَعَلَت الفَرَحَ بالحياةِ مُجرَّدَ صالَتَيْن:
إحداهما لاستقبالِ الحُزنِ،
والأُخرى لانتظارِه مُجسَّدًا وقادِمًا باتِّجاهها
بِقَدَمَيْه ووَجْهِه وذِراعَيْه وعُنُقِه وسِلسِلَةِ ظَهرِه
ومُؤخِّرَتِه البَغيضَةِ وأَعضائِه المفكَّكَة أمامَها
في زنزانَةٍ خَفِيَّةٍ وكريهة على شَكْلِ حُفرَةٍ
بينَ دَهاليزِ رُوحٍ جَسورةٍ
لا تَخَفْ مِن شَيءٍ، أَو عَلى شَيءٍ!

- نقطة في آخر السطر: اقتباس من عماد فؤاد.

فِي مَعْنَى الذُّبُولِ



صَوْتٌ أَوَّلٌ:

بالنِّسبَةِ لي لم يَعُد العالَمُ سِوى مَكانٍ خَفيٍّ؛
بِنفسِ الشَّكلِ الَّذي رأيتُه بين دِفَّتَيْ كتابٍ
ووُصِفَ أَمامي من امرَأةٍ عَجوزٍ
تَعملُ لإتمامِ أَوراقِ سَفَري إلى بَلَدٍ غَريبٍ،
وتُودِّعُني بِهذِه الأَلفاظِ الصَّادِقَةِ..
يُقالُ للمُسافِر: بماذا سَتعودُ إلى ديارِنا؟،
و: أَلَا تُفكِّرُ في الإقامَةِ الدَّائِمَةِ بين غُرباءَ
يَرمُقون انهِماكَكَ في التَّسلِيَةِ وإضاعَةِ الوَقتِ
بين شاشَةِ «الآيباد» والكيبورد؛
لِتكتُبَ شيئًا يُقال في المستقبَلِ القَريبِ
عن الذُّبول؟

صَوتٌ ثانٍ:

امتدَّ شَريطُ أَحلامي خارِجَ النَّومِ،
وصارَ يُرافِقُني من غُرفَةٍ إلى أُخرى.
توقَّفتُ فجأة عن الكِتابَةِ إلَيه
رسائِلَ سِرِّيَّةً ومُصادَفاتٍ غَيرَ مَنطقيَّةٍ،
وكَيف كانَ للجُدرانِ مُوسيقى لا يَسمَعُها أَحَدٌ.

صَوتٌ ثالِثٌ:

مُقيَّدٌ في سَريري بين عالَمَيْن..
كأنَّني من مَقبرَةٍ في غُرفَةِ المعيشَةِ
أَفِرُّ من الحقول..
إلى نَفسِ النُّقطَةِ
الَّتي عُدتُ منها مُحمَّلًا بالمرَضِ اللَّعينِ..
لَيسَ هُناكَ سقوطٌ لجِسَدي
من فَوقِ بِنايَةٍ عالِيَةٍ
ولم أُجرِّب الموتَ المؤقَّتَ بِعُلَبِ الڤاليوم..
مُجرَّد خَلَلٍ بَسيطٍ في بُحيرَةِ الدِّماء
الَّتي تَسكُنُ رأسي
عَطَّلَ أَعضائي،
وصارَ كلُّ شيءٍ في انتظارِ إشارَةٍ
من مَدينَةِ الخراطيمِ،

فلا آكُلُ ولا أَشربُ
ولا أَتنفَّس ولا أَبولُ
إلَّا بِمُساعَدَةِ أَحدٍ ما
لِهَزِّها من أَجلِ بَقائي حَيًّا
في سريري البَغيض.



شُكرٌ وتَقديرٌ



للفنانة البولندية كارولينا كوريل وشريكتي برسوماتها البسيطة في تجربتين انتهيت منهما في ٢٠٢٠ عام العزلة والوباء، وإحداهما أصدقكم القول: أنا فأر متردِّد.. مَشاهِدُ طَويلَةٌ بين أَرْبَعةِ جُدران.

عن الكاتب:



- أشرف يوسف.
- من مواليد السبعينيَّات بإحدى قرى محافظة الدقهلية، ويقيم حاليًا في القاهرة.
- متفرِّغ للكتابة منذ عام ونصف العام.

- عمل في مِهَن عديدة، منها: تاجر أقمشة ومنسوجات، محاسب بإحدى شركات الأدوية بالمنصورة، محرِّر كتب بأكثر من دار نشر مصرية وعربية بالقاهرة، ومدرِّس لغة عربية لغير الناطقين بها، بِشكلٍ حُرٍّ.

خِبرات أخرى:

- مُحاضِر عن الشعر والحداثة في برنامج "كلام للشباب" في المركز الثقافي الإيطالي 2013.
- حرَّر (مع آخرين) أعدادًا من مجلات ثقافية، منها الكتابة الأخرى وأدب 21. ومن الكتب: سلسلة الكتاب الأول للشباب، كوميكس عربي، أعمال الكاتب السكندري محمد حافظ رجب.

الأعمال الشعرية المنشورة:

- "أصدقكم القول: أنا فأر متردِّد"، رسوم: كارولينا كوريل، القاهرة **٢٠٢١**، الطبعة الأولى: طبعة محدودة ورقية بعدد ٢٥ نسخة، ونسخة إلكترونية

للجميع بصيغة Pdf تنشر لأول مرة بالتزامن في موقع الكتابة.

- "وَردةُ التَّخييل الذَّاتيِّ"، رسوم: كارولينا كوريل، القاهرة **٢٠٢١**، الطبعة الأولى: طبعة محدودة ورقية بعدد ٢٥ نسخة، ونسخة إلكترونية للجميع بصيغة Pdf تنشر لأول مرة بالتزامن في مدونة بيت النَّص.
- "مقهى صغير لأرامل ماركس"، دار شرقيات، القاهرة 2015.
- "حَصيلتي اليوم قُبلَة"، دار شرقيات، القاهرة 2007.
- "يَعملُ مُنادِيًا للأرواح"، دار شرقيات، القاهرة 2002.
- "عبور سحابة بين مدينَتَيْن"، مطبوعات أدب 21، المنصورة ١٩٩٧.
- "ليلة 30 فبراير، قصائد منسوخة"، دار أدب الجماهير، المنصورة 1995.

- كما نُشِرَت له العديد من الكتابات في جرائد مصرية وعربية، وتُرجِمَت مختاراتٌ من أعماله إلى الفرنسية.

قيد التجويد والنشر:

- في مديح مرايا المكتئبين، متتالية شعرية، أُنجِزَ كتاب في مديح مرايا المكتئبين في الفترة بين ٢٠٠٨ و٢٠١٥، ومن عناوين أقسامه الداخلية: أَخويَّة الكَهفِ، مقبرة المجانين، عشرة أناشيد للكآبة، أصوات الشعراء، وجوه القصيدة، وغيرها...
- قصص المشرَّدين في القاهرة، فوتوغرافيا: المؤلف، وكتابة حُرَّة عن كيف نراهم في الفن والحياة.
- ضدَّ الناشر، بحثٌ ثقافي من وجهة نظر مؤلِّفي الكتب عن صناعة وسوق الكتاب في مصر، بالإضافة إلى مدخل قصصي بعنوان: نعم، كنت عاملا في قطاع النشر.
- أسجاعُ جماعَةِ التَّخاطُب عن بُعد، مسودة لرواية تسجيلية، أربع فقرات أو أجزاء حتى الآن: (تمهيد

شخصي، دفتر الجوزاء، كتاب الويك إند، المدونة السرية لمهدي عامل)، الغلاف والرسوم الداخلية: استكشات للفنانين: جوليانا نوتاري، مجدي سرحان، سلفادور دالي، هند عدنان، عادل السيوي، عمر جهان، موديلياني، وآخرون.

الخَّلفيَّة الدِّراسيَّة:

ـ حاصل على بكالوريوس تجارة، قسم محاسبة، جامعة المنصورة 1992.

البريد الإلكتروني: ashraf70y@yaoo.com